أحب الأعمال إلى الله

أ.د. عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار

أ.د. عاطف بن محمد عبدالمجيد

نسخة مطبوعة مع مجموع مؤلفات الشيخ

في المجلد رقم (١٦)

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

الوعظ والرقائق

المجلد السادس عشر

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

ح عبدالله بن محمد الطيار ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار ، عبدالله بن محمد
مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث فضيلة الشيخ عبدالله الطيار. / عبدالله بن محمد الطيار .- الرياض ، ١٤٣١هـ
٢٧مج.

ردمك: ١-٦١٧٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
١-٦١٩٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)

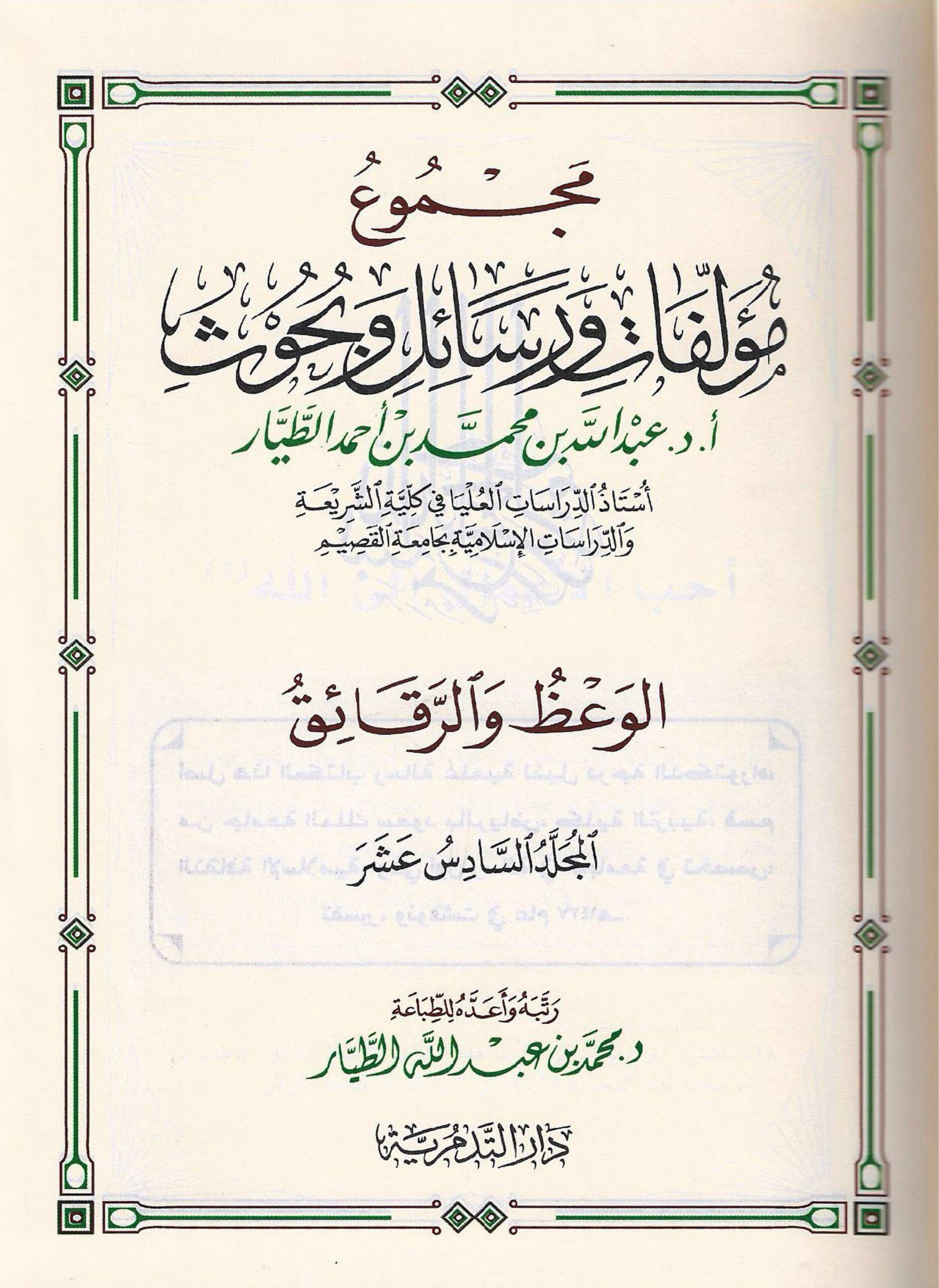
١- الثقافة الاسلامية ٢- الاسلام - مقالات و محاضرات ٣- الدعوة الاسلامية أ.العنوان

ديوي ٢١٤ ١٤٣١/٨٩٨٥

رقم الإيداع: ١٤٣١/٨٩٨٥
ردمك: ١-٦١٧٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
١-٦١٩٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار التدمرية
الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦
هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM
المملكة العربية السعودية



مجموع

مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيّار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

الوعظ والرقائق

المجلد السادس عشر

رتّبه وأعدّه للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيّار

دار التدمرية

كتاب

أحب الأعمال إلى الله[١]

(١) اشترك مع المؤلف في تأليف هذا الكتاب الأستاذ الدكتور عاطف بن محمد عبد المجيد، الأستاذ في كلية التربية للبنات بالزلفي.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُه ونَسْتَعِيْنُه ونَسْتَغْفِرُه ونَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَه وبعد:

إِنّ مِنْ عَظِيْم نِعَم اللهِ تَعَالىَ عَلىَ عِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهَم أَفْضَلَ الشَّرَائِع وَأَحْسَنها، وَدَلهَّمْ عَلَيْها، وَرَغّبَهم فِيها، وَأَمَرَهُم بِأَنْ يَتَعَبَّدُوا إِلَيه بِها، فَمَتىَ قَامَ العبادُ بِما أُمِرُوا بِه وانْتَهَوا عَمّا نُهُوا عَنْه، سُعِدُوا فِي الدّنيا وَٱلآخِرة، وَمَتى خَالَفُوا أَمْرَ خَالِقِهم وَتَمَرّدُوا عَلى عِبَادَته حَصَلَ لهَم بِذَلِك الشّقَاوَةُ في الدّنْيا وَالآخِرة، قَالَ تَعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦] وقال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] فَالْجَزاء مِنْ جِنسِ ٱلعَمَل.

وَلَمّا رَغبَ الرَّبّ ﷻ فِي عِبَادَتِه بَيَّن ﷺ أَنَّ ٱلأَعْمَالَ لَيسَتْ عَلىَ دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ بَل يَتَفَاضَلُ بَعْضُهَا عَلىَ بَعْضٍ، وَلِذَا كَانَتْ مَحبَّته ﷻ لِبَعْضِ ٱلأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ مَحبَّتِه لِغَيْرِهَا، وَلَقَدْ كَانَ صَحَابَةُ النَّبِي ﷺ ـ رِضْوَان الله عَلَيْهِم ـ يَسْأَلُوْنَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَحَبِّ ٱلأَعْمَالِ إِلىَ اللهِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِهَا، وَيَنَالُوا أَعْلىٰ دَرَجَاتِ ٱلمَحَبَّةِ مِنَ اللهِ تَعَالى، فَعَنْ أَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ: أَيُّ ٱلأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلىَ اللهِ تَعَالىٰ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلىٰ وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «**بِرُّ ٱلوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ**»[١].

---

(١) متفق عليه. البخاري في الفتح ١٠/٣٣٦، ومسلم برقم (٨٥).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[(١)].

وهكذا كان صحابته ﷺ يسألون عن أفضل أعمال البر وأحبها إلى الله لكي ينالوا محبته سبحانه ويفوزوا بأعلى الدرجات في جناته.

ولما كانت النفس البشرية ينتابها شيء من الكسل والفتور أحياناً، كان من الأفضل لها، أنه تتعرف على جانب من أنواع العبادات التي خصها الله تعالى بالفضل لكي تتعبد لله بها ويحصل من فعلها لها ما لا يحصل لها يترك بعضها.

والنفس البشرية تميل إلى التنويع؛ لأن في التنويع رياضة لهذه النفس ودعوة لها للاستمرار، فإن النفس البشرية إذا تعودت على أمر ما قد يصيبها شيء من الملل لكن إذا فتح لها باب من أنواع العبادات اختارت ما يناسبها حال الكسل وحال الهمة والنشاط.

وحرصاً منا على نفع إخواننا المسلمين جعلنا هذه الرسالة التي تبين جملة من أنواع العبادات التي يحبها الله تعالى مع بيان عظيم الأجر لمن قام بها نسأل الله أن يرزقنا محبته وأن يجمعنا وإخواننا المسلمين في دار كرامته إنه سميع مجيب.

وقبل الشروع في موضوعنا نحب أن ننبه على أمرٍ هام وهو بيان مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، وذلك لأن موضوع الرسالة في بيان الأعمال التي يحبها ومن خلال هذا المسمى «**أحب الأعمال إلى الله**» إذ فيه إشارة إلى إثبات صفة المحبة لله تعالى التي عطلها أهل التعطيل أو حرفها أهل التحريف.

فما هو مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى؟

قال سماحة شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

(١) متفق عليه. البخاري في الفتح ٣/ ٣٠٢، ومسلم برقم (٨٣).

«أهل السنة والجماعة طريقتهم في أسماء الله وصفاته أنهم يعتبرون أن ما ثبت من أسماء الله وصفاته في كتاب الله، أو فيما صح عن رسول الله ﷺ هو حق على حقيقته يراد به ظاهره ولا يحتاج إلى تحريف المحرفين وذلك لأن تحريف المحرفين، مبني على سوء فهم، أو سوء قصد حيث ظنوا أنهم إذا أثبتوا تلك النصوص، أو تلك الأسماء والصفات على ظاهرها ظنوا أن ذلك إثبات للتمثيل، ولهذا صاروا يحرفون الكلم عن مواضعه، وقد يكونون ممن لم يفهموا هذا الفهم ولكن لهم سوء قصد في تفريق هذه الأمة الإسلامية شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن ما سمى الله به نفسه وما وصف الله به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فهو حق على حقيقته وعلى ظاهره، ولا يحتاج إلى تحريف المحرفين بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، وهو أيضاً لا يمكن أن يفهم منه ما لا يليق بالله ﷻ من صفات النقص أو المماثلة بالمخلوقين، بهذه الطريقة المثلى يسلمون من الزيغ والإلحاد في أسماء الله وصفاته، فلا يثبتون لله إلا ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، غير زائدين في ذلك ولا ناقصين عنه، ولهذا كانت طريقتهم أن أسماء الله وصفاته توقيفية لا يمكن لأحد أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه أو أن يصف الله بما لم يصف به نفسه.

فإن أي إنسان يقول أن من أسماء الله كذا، أو ليس من أسماء الله، أو أن من صفات الله كذا، أو ليس من صفات الله بلا دليل فهذا بلا شك قول على الله بلا علم، وقد قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم إن طريقتهم في أسماء الله تعالى مما سمى الله به نفسه فإن كان من الأسماء المتعدية فإنهم يرون من شرط تحقيق الإيمان به ما يلي:

١ ـ أن يؤمن المرء بذلك الاسم اسماً له ﷻ.

٢ ـ أن يؤمن بما دل عليه من الصفة سواء كانت الدلالة تضمناً أو التزاماً.

٣ ـ أن يؤمن بأثر ذلك الاسم الذي كان مما دل عليه الاسم من الصفة ونحن هنا نضرب مثلاً:

من أسماء الله تعالى «السميع» يجب على طريق أهل السنة والجماعة أن يثبت هذا الاسم من أسماء الله فيدعى لله به ويعبد به فيقال مثلاً عبد السميع ويقال يا سميع يا عليم وما أشبه ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكذلك أيضاً يثبت ما دل عليه هذا الاسم من الصفة وهي السمع فنثبت لله سمعاً عاماً شاملاً فلا يخفى عليه أي صوت وإن ضعف.

كما نثبت أيضاً أثر هذه الصفة وهي أن الله تبارك وتعالى يسمع كل شيء وبهذا ننتفع انتفاعاً كبيراً من أسماء الله لأنه يلزم من هذه الأمور الثلاثة التي أثبتناها في الاسم إذا كان متعدياً أن نتعبد الله بها فنحقق قول الله: ﷻ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأنت إذا آمنت بأن الله يسمع فإنك لن تُسْمِع ربك ما يغضبه عليك، لن تسمعه إلا ما يكون به راضياً عنك؛ لأنك تؤمن أنك مهما قلت من قول سواء كان سراً أم علناً فإن الله تبارك وتعالى يسمعهه، فسوف ينبئك بما كنت تقول في يوم القيامة، فسوف يحاسبك على ذلك على حسب ما تقتضيه حكمته في كيفية من يحاسبهم تبارك وتعالى، إذاً القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الاسم من أسماء الله إذا كان متعدياً فإنه لا يمكن تحقيق الإيمان به إلا بالإيمان بهذه الأمور الثلاثة:

١ ـ أن نؤمن به اسماً من أسماء الله فنثبته من أسمائه.

٢ ـ أن نؤمن بما دل عليه من صفة.

٣ ـ أن نؤمن بما يترتب على تلك الصفة من الأثر.

وبهذا يتحقق الإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى المتعدية.

أما إذا كان الاسم لازماً فإنهم يثبتون هذا الاسم من أسماء الله، ويسمون الله به ويدعون الله به، ويثبتون ما دل عليه الاسم من صفة على الوجه الأكمل اللائق بالله تعالى، ولكن هنا لا يكون أثر؛ لأن هذا الاسم مشتق من شيء لا يتعدى موصوفه فلذلك لا يكون أثر، ونضرب مثلاً بـ «الحي» فإن الحي من أسماء الله ﷻ نثبته اسماً لله فنقول من أسماء الله تعالى «الحي» وندعو الله به فنقول: «يا حي، يا قيوم».

ونؤمن بما دل عليه من صفة، سواء كان ذلك تضمناً، أو التزاماً وهي الحياة الكاملة التي تتضمن كل ما يكون من صفات الكمال في الحي من علم وقدرة وسمع وبصر وكلام وغير ذلك، فعلى هذا نقول: إذا كان الاسم من أسماء الله غير متعد فإن تحقيق الإيمان به يكون بأمرين:

أحدهما: إثباته اسماً من أسماء الله.

والثاني: إثبات ما دل عليه من الصفة على وجه الكمال اللائق بالله تبارك وتعالى.

أما الصفات فإننا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه سواء ذكر الصفات وحدها بدون أن يتسمى بما دلت عليه، أو كانت هذه الصفة مما دلت عليه أسماؤه، فإنه يجب علينا أن نؤمن بهذه الصفة على حقيقتها مثال ذلك: أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه أنه استوى على عرشه، وهو يخاطبنا بالقرآن النازل باللسان العربي المبين، وكل الناس الذين لهم ذوق في اللغة العربية يعلمون معنى استوى في اللغة العربية، ولهذا قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وهذا اللفظ أدق من اللفظ الآخر؛ لأن كلمة «الكيف غير معقول» تدل على أنه إذا انتفى عنه الدليلان النقلي والعقلي فإنه لا يمكن التكلم به.

هذه الصفة من صفات الله لم يرد اسم من أسماء الله مشتق منها فليس

من أسمائه المستوى، ولكننا نقول إنه استوى على العرش ونؤمن بهذه الصفة على الوجه اللائق به ونعلم أن معنى الاستواء هو العلو، فهو علو خاص بالعرش، ليس العلو المطلق على جميع المخلوقات، بل هو علو خاص ولهذا نقول في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [طه: ٥].

أي: علا واستقر على وجه يليق بجلاله وعظمته، وليس كاستواء الإنسان على البعير والكرسي مثلاً؛ لأن استواء الإنسان على البعير والكرسي استواء مفتقر إلى مكانه الذي يستوي عليه، أما استواء الله جل ذكره فإنه ليس استواء مفتقر، بل إن الله تعالى غني عن كل شيء، كل شيء مفتقر إلى الله، والله تبارك وتعالى غني عنه.

ومَنْ زعم أنه بحاجة إلى عرش يقله أساء الظن بربه ﷻ فهو ﷻ غير مفتقر إليه، كذلك النزول إلى سماء الدنيا حينما يبقى ثلث الليل الآخر نؤمن به على أنه نزول حقيقي، لكنه يليق بالله ﷻ لا يشبه نزول المخلوقين، ومن هنا نقول أنه يجب على المؤمن أن يتحاشى أمراً يلقيه الشيطان في باله أمراً خطيراً للغاية ـ وهو أمر حمل أهل البدع على تحريف النصوص، من أجل هذا الأمر الذي يجعله الشيطان في قلوب الناس ـ ألا وهو تخيل كيفية صفة من صفات الله، أو تخيل كيفية ذات الله ﷻ.

فاعلم أنه لا يجوز أبداً أن يتخيل كيفية ذات الله، أو كيفية صفة من صفاته، واعلم إنك إذا تخيلت أو حاولت التخيل فإنك لا بد أن تقع في أحد أمرين:

إما التحريف والتعطيل، وإما التمثيل والتشبيه ولهذا يجب عليكم أيها الإخوة أن لا تتخيلوا أي شيء من كيفية صفات الله ﷻ، لا أقول لا تثبتوا المعنى لأن المعنى يجب أن يثبت، لكن تخيل كيفية تلك الصفة لا يمكن أن تتخيلها وعلى أي مقياس تقيس هذا التخيل.

لا يمكن أبداً أن تتخيل كيفية صفات الله ﷻ لا بالتقدير ولا بالقول، يجب عليك أن تتجنب هذا لأنك تحاول ما لا يمكن الوصول إليه بل تحاول ما يخشى أن يوقعك في أمر عظيم لا تستطيع الخلاص منه إلا بسلوك التمثيل

والتعطيل وذلك لأن الرب جلت عظمته لا يمكن لأحد أن يتخيله على كيفية معينة لأنه إن فعل ذلك فقد قفا ما ليس له به علم وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإن تخيله على وصف مقارب بمثيل فقد مثل الله والله ﷻ يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وبهذا نعلم أن من أنكر صفات الله أنكرها لأنه تخيل أولاً، ثم قالوا هذا التخيل يلزم منه التمثيل ثم حرفوا، ولهذا نقول إن كل معطل ومنكر للصفات فإنه ممثل سبق تمثيله تعطيله. مثَّل أولاً وعطَّل ثانياً ولو أنه قدر الله حق قدره ولم يتعرض لتخيل صفاته سبحانه ما احتاج إلى هذا الإنكار وإلى هذا التعطيل[1].



(١) مجموع فتاوى ورسائل لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥/ ١٨٥ ـ ١٩٠.

الإيمان بالله ـ وصلة الرحم ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: الإيمان بالله، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقول النبي ﷺ: «**أحبُّ الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»(١).

أولاً: الإيمان بالله:

الإيمان في اللغة: مطلق التصديق.

وفي **الشرع**: تصديق النبي ﷺ بكل ما جاء به مما عُلم من الدين ضرورة(٢)

وفسره النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور بقوله: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٣).

وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق الإيمان على هذه الأصول، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال سبحانه: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي

---

(١) رواه أبو يعلى (٦٨٣٩) وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع ١/ ٩٥ رقم (١٦٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣٧٧ رقم (١٣٤٥٤): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاجي وهو ثقة اهـ.

(٢) مختصر شعب الإيمان للبيهقي ص٨.

(٣) رواه مسلم رقم الحديث (٨).

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذا المفهوم أجمله سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم بقولهم: «الإيمان: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية».

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ يرحمه الله ـ:

«والمأثور عن أصحابنا وأئمة التابعين، وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. . .»[١].

وقال ابن حجر رحمه الله روى اللالكائي بسنده الصحيح عن البخاري قال: «لقيت أكثر من الف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت منهم أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٢].

وقال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله:

«. . . والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. . .»[٣].

ونظم ابن مشرف في ذلك أبياتاً منها:

إيماننا قول وقصد وعمل   إن وافق الشرع به نيل الأمل
والزيد والنيقصان للإيمان   يعرض بالطاعة والعصيان[٤]

وهذا العالم العلامة ابن القيم ـ يرحمه الله ـ يشرح حقيقة الإيمان وكماله فيقول:

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٠٥.
(٢) فتح الباري ١/ ٧٤.
(٣) العقيدة الطحاوية، تعليق سماحته ص٣٦.
(٤) ديوانه ص٩.

«وهو ـ أي الإيمان ـ حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان.

وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله، وبالله التوفيق»[1].

وفي القرآن الكريم والسنّة المطهرة نصوص كثيرة تدل على كون الإيمان بالقلب، قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز ـ يرحمه الله ـ: «والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر»[2]

ومن هذه الأدلة قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن كثير رحمه الله:

«نزلت في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله ﷻ: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون»[3].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

---

(١) الفوائد ص١٤٠.

(٢) العقيدة الطحاوية هامش ص٣٦.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٧٨.

وقول النبي ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسدت الجسد كله ألا وهي القلب»**(١).

فهذه النصوص تدل على أن الإيمان يدخل القلب ويطمئن به، وأن إيمان القلب شرط في صحة الإيمان.

وكون الإيمان باللسان يدل عليه قول النبي ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»**(٢).

وقوله ﷺ: **«يخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان، ويخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من إيمان، ويخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان»**(٣).

فنطق الشهادتين باللسان شرط لصحة الإيمان وأن قائلها غير مخلد في النار كما هو واضح في هذين الحديثين الشريفين.

وكون الإيمان عملاً بالجوارح يزيد وينقص يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

قال الحافظ ابن كثير ـ يرحمه الله ـ:

«... وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ الآية، وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأئمة، بل قد

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد. . .»[١].

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤].

فهذه النصوص تدل دلالة واضحة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يكون بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة وغيرهما.

والمراد بالإيمان بالله تعالى: التصديق القاطع الجازم بوجود الله ﷻ، وأنه ﷻ هو المستحق للعبادة دون كل ما سواه.

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز ـ يرحمه الله ـ: «. . . من الإيمان بالله الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه، لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرّهم وعلانيتهم والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها. . .»[٢].

ويتحقق هذا الإيمان بأمور ثلاثة هي:

١ ـ الإيمان بأسماء الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر**»[٣].

وزاد الترمذي بعد قوله: «يحب الوتر»:

---

(١) المصباح المنير على تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٢٥.

(٢) العقيدة الصحيحة ونواقض الإيمان ص٧.

(٣) رواه الإمام أحمد (٧٤٩٣) و(١٠٤٨٦)، والبخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)، والترمذي (٣٥٠٦)، وابن ماجه (٣٨٦٠).

«هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحكيم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الولي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الوارث الرشيد الصبور».

ثم قال: «حديث غريب.... وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلمه في شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث»[١].

ومعنى الأسماء الحسنى: أحسن الأسماء؛ لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك.

والحسنى مؤنث أحسن، وجمع التكثير لغير العقلاء يعامل معاملة المؤنثة الواحدة[٢].

وفي قوله ﷺ: **«من أحصاها»** أقوال منها: مَنْ حفظها، مَنْ عرف معانيها وآمن بها، مَنْ قرأ القرآن حتى يختمه فإنه يستوفي هذه الأسماء في تلاوته[٣].

وقد أَلَّفَ عدد من العلماء مؤلفات شرحوا فيها هذه الأسماء، جاء في كتاب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون:

---

(١) شرح الترمذي لابن العربي ١/ ١٣ وما بعدها.
(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ٢٣٠.
(٣) انظر في هذا: بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٦٤، وتلخيص الحبير لابن حجر ٤/ ١٧٤.

«شرح الأسماء الحسنى لجماعة من أهل العلم منهم: الأزهري، والإقليشي، والبواسي، والنسفي، والبقالي، والبيضاوي، وفخر الدين، والقشيري، وغيرهم».

٢ ـ الإيمان بصفات الله تعالى:

مثل: الوجود والقدم والوحدانية والبقاء والقدرة والإرادة..... بالكيفية التي أثبتها الله لنفسه.

قال سماحة شيخنا ـ ابن باز ـ يرحمه الله: «... الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله العزيز وفي السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته وإثباتها لله على الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]. وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾» [الأعراف: ١٨٠][(١)].

٣ ـ الإيمان بأفعال الله تعالى:

مثل: الخلق، والرزق، والإحياء والإماتة...

قال شيخنا محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله وحده هو الخالق ولا خالق سواه قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى مبيناً بطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] فالله تعالى وحده هو الخالق: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وخلقه يشمل ما يقع من مفعولات خلقه أيضاً...»[(٢)].

---

(١) العقيدة الطحاوية ص٦، ٧.

(٢) التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة ص٤.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «... فنؤمن بربوبية الله تعالى أي بأنه الرب الخالق الملك المدبر لجميع الأمور...»[١].

ويقوم هذا الإيمان على أسس أهمها:

١ ـ الكفر بالطاغوت:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**»[٢].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحاصله ـ أي التوحيد ـ هو البراء من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وهو معنى لا إله إلا الله...»[٣].

وفي الآية الأولى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن﴾... قدم الحق سبحانه: الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأنه فعل العبد وامتثاله لما كلف به، فيجب أولاً أن يخلع ثوب الشرك ويكفر بالطاغوت ثم يدخل الإيمان في قلبه نقياً طاهراً.

وفي الآية الثانية: والحديث قدم الإيمان بالله على الكفر بالطاغوت؛ لأن دعوة الرسل تتجه إلى المقصد الأهم وهو العبادة الخالصة ثم بيان شرطها وهو الكفر بالطاغوت وغيره.

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة ص٦.
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.
(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص١٣٩.

٢ ـ الإيمان بالغيب:

والأدلة عليه كثيرة منها:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

وقد وضّح ابن كثير المراد به فقال: «... قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أبي عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت والبعث، فهذا غيب كله، وكذا قال قتادة بن دعامة»[١].

٣ ـ امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه:

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة تبين هذا الأساس وتوضحه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨] والسلم: الإسلام، والمراد بكافة: جميع شرائع الإسلام[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤]

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٢.

(٢) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٥٣.

و﴿يُحۡيِيكُمۡ﴾ يصلحكم و﴿يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ قال السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه[١].

وقد حذر الله سبحانه من التفريط في الطاعة وعدم الالتزام بالتكليف فقال سبحانه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن السنّة قوله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

٤ ـ الإخلاص لله في العبادة:

ومعناه: أن يقصد العبد في كل عبادته وجه الله تعالى، فلا يشرك مع ربه أحداً، ولا يصرف شيئاً منها لغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذا ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ[٣].

وبيّن النبي ﷺ أن إخلاص العبادة لله وحده حق له سبحانه على عباده. فعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق**

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٣٢.
(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.
(٣) المصباح المنير ص٨١٨.

العباد على الله أن لا يعذب من يشرك به شيئاً»[١].

٥ ـ صدق المتابعة للنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن حقق الإيمان بالله بالكيفية التي أرادها الله سبحانه، ووضحها لنا نبينا ﷺ جنى ثمرات الإيمان والتي منها:

- **محبة الله، وتعظيمه، وطاعته، والسعادة في الدارين.**

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

قال شيخنا محمد بن عثيمين ـ يرحمه الله ـ: «... فالإيمان بالله وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع...»[٣].

ويؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).
(٢) المصباح المنير ص١٠٨٢.
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة ص٣٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

أي: بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين، ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون من عباده حصلت له السعادة والفلاح والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين من الثناء والدعاء له حياً وميتاً والاقتداء به، وحصول الإمامة في الدين[1].

● **ومن ثمرات الإيمان أيضاً: حصول البشارة بكرامة الله، والأمن التام من جميع الوجوه:**

لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وفي الأمن يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة: أمنٌ من سخط الله وعقابه، وأمنٌ من جميع المكاره والشرور وله البشارة الكاملة بكل خير...

ويوضح هذه البشارة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢][2].

● **ومنها: أن الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة.**

لقوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق**

---

(١) انظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٣) العقيدة الإسلامية ص١٢٨.

(٢) المجموعة الكاملة (٣) العقيدة الإسلامية ص١٣٠.

حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن»[١].

فالإيمان يعصم صاحبه من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فما أحوج الأمة إلى الإيمان الكامل في هذا الزمان الذي تكالب فيه الأعداء عليها، وسعوا جاهدين إلى نشر الرذائل بكل الوسائل، مستغلين تقدمهم العلمي في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا قاتلهم الله أنى يؤفكون.

لهذا كان الإيمان بالله من أحب الأعمال إلى الله كما أخبر بذلك الصادق الأمين محمد بن عبد الله ﷺ.

ثانياً: صلة الرحم:

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: صلة الرحم لقوله ﷺ: **«ثم صلة الرحم»** والرحم: رحم المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة[٢].

ويطلق الرحم على كل من يجمعك وإياه نسب من جهة الذكور أو من جهة النساء.

وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وإن أساءوا[٣].

وواصل الرحم يصله الله، جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: **«الرحم متعلقة بالعرش تقول مَنْ وصلني وصله الله، ومَنْ قطعني قطعه الله»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك،**

---

(١) صحيح البخاري ٢/١٣٦، ومسلم ١/٥٤، والترمذي ١٠/٩١.
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٩١.
(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ١١/٧٢٨.

قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: **«اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: «... وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الرحم خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل المال»[(١)].

وصلة الرحم من علامات الإيمان، لقوله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[(٢)].

كما أنها سبب بسط الرزق وطول العمر، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحبّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»**[(٣)].

والزيادة في العمر قد تكون معنوية وذلك بأن يبارك الله فيه فيهب لصاحبه قوة في الجسم، ورجاحة في العقل، وعزيمة في الرأي، ويوفقه لأعمال الخير والبر والطاعة، فتكون حياته حافلة بالأعمال الصالحة.

وقد تكون الزيادة في عمر الواصل حقيقية فيطول عمره ويمتد أجله، يوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول: «... والأجل أجلان: مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: **«من سرّه أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»**. فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزاد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر»[(٤)].

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٢٨.
(٢) رواه البخاري (٦٠١٨) و(٦١٣٦)، ومسلم (٤٧)، والإمام أحمد (٦٦٢١).
(٣) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).
(٤) مجموع الفتاوى ٨/ ٥١٧.

وصلة الرحم سبب من أسباب دخول الجنة: فعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»(١).

هذا بالإضافة إلى آثار صلة الرحم الحميدة على الفرد والجماعة من نشر المودة والألفة والمحبة بين ذوي الأرحام حتى تصير الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فما أحوج أمتنا في هذا الزمن إلى الاتحاد والترابط.

فَصِلْ أخي المسلم أرحامك وإن قطعوك، وأعطهم وإن حرموك، وبرّهم وإن جفوك، وأحلم عليهم وإن جهلوا عليك، تفز برضى الله في الدارين، وحسابهم على الله. فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، قال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير ما دامت على ذلك**»(٢) ومعنى تسفهم: تطعمهم، والمل: الرماد الحار.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث: «وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم، بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه».

وقيل معناه: أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقِّرهم في أنفسهم؛ لكثرة إحسانك، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم، كمن يسف الملّ.

وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملّ يحرق أحشاءهم. والله أعلم.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر: المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جداً

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨)، والإمام أحمد (٧٩٧٩).

إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم — قدحتُ لهم في كل مكرمة زندا
وإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم — وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم — وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهم مالي إذا كنت واجدا — وإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا[١]

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

رسولنا ﷺ خير الرسل؛ لأن الله نسخ برسالته كل الرسالات. وأمتنا خير الأمم؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمعروف: اسم لكل فعل يُعْرَف بالعقل أو الشرع حُسْنَه.

والمنكر: ما ينكر بالعقل أو الشرع[٢]

وقد أمر الله المسلمين بهما وحثهم عليهما، فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال الحافظ ابن كثير ـ يرحمه الله ـ: «﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٣].

وهو واجب على كل فرد من أفراد هذه الأمة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[٤].

قال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرح هذا الحديث: «... وأما قوله:

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان ١٧٣ ـ ١٧٤.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٣٣١.
(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٢٣٧.
(٤) رواه مسلم رقم (١٧٧) (١٧٩).

«فليغيره» فهو أمر إيجابي بإجماع الأمة، وقد تطابق الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين»[١].

ويؤكد هذا ويقوّيه ما يرويه حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»**[٢].

وقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان أنبيائهم بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

والذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وما يستقيم به أمره، وما تصلح به دنياه، وتعمر به أخراه، قد ألزمه بهذا الأمر.

ولما تهاون المسلمون في هذه الشعيرة انتشر في كثير من بلادهم الفسق والفجور، وأصبح الفاجر الفاسق المجاهر بالمعصية المتباهي بها الداعي إليها عزيزاً كريماً، والمؤمن المتمسك بدينه ذليلاً إرهابياً أصولياً حقيراً، فلا حول ولا قول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهنا نسجل بكل إعزاز وفخر أن بلاد الحرمين الشريفين (المملكة العربية السعودية) متفردة من بين البلاد الإسلامية بإحياء هذه الشعيرة، فلا توجد هيئة منظمة تنظيماً دقيقاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا فيها، ولا يوجد رجال للحسبة يجوبون البلاد من أقصاها إلى أقصاها آمرين بالمعروف ناهين

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص٨٢.

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٩) وقال: هذا حديث حسن، والإمام أحمد (٢٣٦٩٠)، والطبراني في الكبير ١٠/١٤٦ رقم (١٠٢٦٧)، والبيهقي في الشعب (٧٥٥٦) وحسنه الألباني.

عن المنكر، إلا فيها، وهذا مما أغاظ أعداء الإسلام في كل مكان كافرين ومنافقين فتعالت أصواتهم مطالبين بالقضاء على هذه الهيئة المباركة، أو تحجيم دورها وجعلها شكلاً فقط.

نسأل الله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم وأن يشغلهم بأنفسهم عن المسلمين.

كما نسأله سبحانه أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه وأن يحفظ لنا هذه الفئة المؤمنة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، والتي كانت سبباً بعد فضل الله في حماية بلاد الحرمين الشريفين من شرور كثيرة وآثام عديدة.

ومن هنا ندرك لماذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أحب الأعمال إلى الله كما قال سيدنا رسول الله ﷺ؟



الحنيفية السمحة

من أحب الأعمال إلى الله الحنيفية السمحة لقول النبي ﷺ: **«أحبّ الأعمال إلى الله تعالى: الحنيفية السمحة»**[١].

الحَنَفُ: هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة، وضده الجنف: وهو الميل عن الاستقامة إلى الضلال.

والحنيف: هو المائل إلى الاستقامة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]. وتحنَّفَ فلان: أي تحرى طريق الاستقامة.

وسمَّتْ العرب كل من حج أو اختتن حنيفاً تنبيهاً أنه على دين إبراهيم عليه السلام.

والأحنف: مَنْ في رِجله ميلٌ.

قيل: سُمِّي بذلك تفاؤلاً، وقيل: بل استعير للميل المجرَّد[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢١٠٧) بلفظ: «قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: **الحنيفية السمحة**». ورواه عبد بن حميد في مسنده ص (١٩٩) رقم (٥٦٩). وقال ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٥٥ رقم (٢٠٣): رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير والبزار وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع اهـ.
وقد بوّب البخاري في كتاب الإيمان (٢٩) حديث رقم (٣٩)، باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»، وحسنه ابن حجر في الفتح ١/ ٩٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٣٣ ـ ١٣٤.

والحنيفية: هي الملَّة المائلة عن الشرك المبنية على الإخلاص لله ﷻ[١] وهي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«. . . الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين»[٢].



(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣٧) هامش (٤).

(٢) ثلاثة الأصول ٣٧.

مفهوم العبادة

وللعبادة مفهومان:

الأول: عام وهو التذلل لله محبه وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه.

والثاني: خاص وهو كونها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف والخشية والتوكل والصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الله[١].

وقد خلق الله الخلق لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأمر الله بها فقال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وبعث الله بها الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وبيّن رسولنا ﷺ أنها حق الله على عباده، وذلك فيما يرويه معاذ بن جبل حيث يقول: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: **يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: **لا تبشرهم فيتكلوا**»[٢].

---

(١) انظر السابق ص٣٧.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

أنواع العبادة

قال شيخنا محمد بن عثيمين ـ يرحمه الله ـ: «... واعلم أن العبادة نوعان: عبادة كونية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكونيّ، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر والبر والفاجر.

والثاني: عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعيّ، وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاء به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان؛ لأنه بغير فعله... بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه»[١].

ولا يقبل الله العبادة من عباده إلا إذا اقترنت بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذان ركنا العمل المتقبل: لا بد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ...»[٢].

وللعلماء في الإخلاص أقوال كثيرة منها:[٣]

---

(١) شرح ثلاثة الأصول ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٨١٨.

(٣) انظر: هذه الأقوال في بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ١/ ٢٩، ومختصر شعب الإيمان ص١٦٣، وشرح ثلاثة الأصول ص٣٧.

- أن يراد بالعمل وجه الله تعالى لا غيره.
- إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.
- تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.
- أن يقصد المرؤ بعبادته وجه الله ﷻ والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً.



ثمرات الإخلاص

وللإخلاص ثمرات كثيرة أهمها:

* نصر الأمة:

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**»(١).

وأمتنا ـ أخي القارئ الكريم ـ تعيش اليوم حالة من الضعف والهزيمة فهي في حاجة إلى دعائك وصلاتك وإخلاصك فلا تبخل عليها بما تستطيعه ولك الأجر والمثوبة ـ إن شاء الله ـ.

* النجاة من عذاب الآخرة والفوز بالجنة:

لقوله تعالى في حق طائفة من المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٨].

فعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له هما ملة إبراهيم عليه السلام ـ وهي الحنيفية السمحة ـ وقد أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ أن يتبعها، فقال ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

(١) صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٦٥.

ووصف الذين يرغبون عنها بقوله ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

لهذا كانت الحنيفية السمحة من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما قال النبي محمد ﷺ.



الصلاة وبر الوالدين والجهاد

من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى: الصلاة وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله. فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحبّ إلى الله تعالى؟

قال: «**الصلاة على وقتها**».

قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**بر الوالدين**».

قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[١].

أولاً: الصلاة على وقتها:

- **الصلاة لغة:**

للصلاة في اللغة معان كثيرة، أهمها:

الدعاء، يقال: صلّيت عليه، أي دعوت له، ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، وإن كان صائماً فليصلِّ**»[٢] أي: ليدع لأهله[٣]

ومنه ـ أيضاً ـ قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قال ابن كثير رحمه الله: «. . . ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وانظر أيضاً في: رياض الصالحين ص١٥٦، وفتح الباري لابن حجر ٢/ ١٢.

(٢) رواه مسلم ٢/ ١٠٥٤.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٨٥.

إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: **اللهم صل على آل أبي أوفى**»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

جاء في تفسير ابن كثير عقب هذه الآية: «قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء»[٢].

وقال بعضهم: أصل الصلاة من الصِّلاء، ومعنى صلَّى الرجل أي أزال عن نفسه بهذه العبادة الصِّلاء الذي هو نار الله الموقودة[٣].

وقيل: أصلها التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقديسه[٤].

• **وشرعاً:**

وأما تعريفها في الشرع فهي: «التعبد لله بأقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم»[٥].

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز ـ يرحمه الله ـ: «... الصلاة عبادة ذات أقوال وأفعال أولها التكبير وآخرها التسليم»[٦].

وقد أمر الله المسلمين بالمحافظة عليها وإقامتها في أوقاتها فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٩].

فلا يجوز تأخيرها عن وقتها إلا لعذر قدره الشرع من نوم أو نسيان وما

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٨٩.
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١١٠٢.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٨٥.
(٤) لسان العرب لابن منظور ١٤/٤٦٦.
(٥) انظر: الروض المربع ١/١١٨.
(٦) رسائل في الطهارة والصلاة ص٢٨.

يلحق بهما من إغماء وغيره قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أي مفروضاً، وقال: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج»(١)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول:

«... فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لجنابة ولا لحدث ولا لنجاسة ولا غير ذلك، بل يصلي في الوقت بحسب حاله؛ فإن كان محدثاً وعدم الماء أو خاف الضرر باستعماله، تيمم وصلى، وكذلك الجنب يتيمم ويصلي إذا عدم الماء أو خاف الضرر باستعماله لمرض أو لبرد، وكذلك العريان يصلي في الوقت عرياناً، ولا يؤخر الصلاة حتى يصلي بعد الوقت في ثيابه، وكذلك إذا كان عليه نجاسة لا يقدر أن يزيلها فيصلي في الوقت بحسب حاله، وهكذا المريض يصلي على حسب حاله في الوقت... وهذا كله لأن فعل الصلاة في وقتها فرض والوقت أوكد فرائض الصلاة»(٢).

وقال ـ أيضاً ـ: «فالمريض له أن يؤخر الصوم باتفاق المسلمين، وليس له أن يؤخر الصلاة باتفاق المسلمين»(٣).

وجاء الأمر في القرآن الكريم بإقامة الصلاة وليس بالصلاة فقط:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ [هود: ١١٤].

وقال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

وقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٢١.
(٢) الفتاوى ٢٢/ ٣٠.
(٣) الفتاوى ٢٢/ ٣١.

وقال: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٢﴾ [الأنعام: ٧٢].

وقال: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقال: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المجادلة: ١٣].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وأكثر من ذلك فإنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر الصلاة ـ غالباً ـ إلا مقترنة بلفظ الإقامة أو ما اشتق منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

وإذا أطلق لفظ الإقامة في القرآن الكريم فإنه يراد به الصلاة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١، ٢].

قال ابن كثير ـ يرحمه الله ـ: «. . . يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه ﷻ. . . وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله به من قيام الليل. . .»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠]. وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]. قال الضحاك رحمه الله: «أي إلى الصلاة»[٢]. وقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨﴾ [الشعراء: ٢١٨]. ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

المراد بإقامة الصلاة:

والمراد بإقامتها: إتمام قراءتها وإتمام ركوعها، وإتمام سجودها، وحضور القلب فيها وكل ذلك في خشوع وخضوع لله رب العالمين.

قال الضحاك رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما «إقامة الصلاة إتمام الركوع والتلاوة والخشوع والإقبال عليها».

وقال قتادة رحمه الله: «إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فيها»[٣].

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عمّا سواها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون الصلاة راحة لبدنه، وقرة لعينه، وطمأنينة لفؤاده وسكينة لقلبه كما قال ﷺ: **«حُبِّبَ إليّ الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[٤].

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٤٥٤.
(٢) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٣٢٥.
(٣) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٣٣.
(٤) رواه أحمد (١٩٩١٣)، والنسائي ٧/ ٦١، ٦٢.

وكثير من الناس ـ إلا من رحم الله ـ لا يحققون الصلاة بهذا المفهوم فإذا دخل المرؤ في الصلاة أقبل عليه الشيطان بخيله ورجله وأخذ يوسوس له، ويصرفه عن الصلاة ويشغله بأمور الدنيا، ويجعله يكثر من الحركة والالتفات حتى أنه لم يعقل من صلاته شيئاً، فالمصلون كثير والمقيمون قليل، وكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الحاج قليل والركب كثير».

وهذا أمر خطير يئن منه كثير من المصلين، ونحن نوصي أنفسنا ونوصيك أيها القارئ الكريم الحبيب بأن يجاهد كل منا نفسه حتى يتخلص من هذا الأمر، ويحقق إقامة الصلاة كي يتحقق لنا جميعاً الفلاح والفوز والسعادة في الدارين. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

ولأبي حامد الغزالي رحمه الله كلام طيب يساعد على الخشوع في الصلاة فاقرأه ـ يرحمك الله ـ بتدبر وإمعان، يقول:

«. . .اعلم أن الصلاة إنما هي ذكر وقراءة ومناجاة ومحاورة، وذلك لا يكون إلا بحضور القلب، وتمامه يحصل بالتفهيم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء، وعلى الجملة كلما ازداد العلم بالله زادت الخشية وحصل الحضور، فإذا سمعت المؤذن ينبغي أن تستحضر القلبَ هول النداء يوم القيامة، وتتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فإن وجدت قلبك مملوءاً بالفرح والاستبشار ومشغوفاً إلى الابتدار فسيكون ذلك في ذلك النداء، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «**أرحنا بها يا بلال**» إذ كانت قرة عينه في الصلاة.

فالطهارة طهارة السرِّ عما سوى الله، فبها تتم هذه الصلاة، فإنك إن سترت العورة بالثياب فما الذي يستر عورتك في الباطن عن الله؟

فتأدب بين يدي الله، واعلم أنه يطلع على سرِّك فتواضع بظاهرك وباطنك وانظر لو قمت بين يدي الملك كيف تكون؟

ولا نسبة بينه تعالى وبين الملوك، والكل عبيده، فإذا فعلت ذلك فلا تكون كاذباً في قولك: «وجهت وجهي» وفي قولك: «حنيفاً مسلماً وما أنا من

المشركين» وقولك: «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين».

فانظر فلا ينبغي أن يكون هذا كذباً فيكون سبب هلاكك، وينبغي أن تذكر كبرياء الله وعظمته عند ركوعك وسجودك، وتعلم ذلك بصغارك، والله برحمته أهَّلك لمناجاته فلا أقلّ من التأدب والحضور بقلبك بين يديه. قال ﷺ: «**إن الله يُقبل على المصلي ما لم يلتفت**» فاحفظ ظاهرك وباطنك عن الالتفات قال عليه الصلاة والسلام: «**إن العبد ليصلي ولا يكتب له من صلاته لا نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها، وإنما يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها**».

وقال بعضهم: إن العبد يسجد السجدة، وعنده أنه تقرب بها إلى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا، قيل: وكيف ذلك؟

قال: يكون ساجداً عند الله تعالى وقلبه مُصْغٍ إلى هوى، ومشاهد لباطل قد استولى عليه...»[1].

فاسْتِحْضَارُ القلب، والتدبرُ في القراءة، وَتَذَكّرُ عظمة الله وكبريائه، يساعد على ترك الانشغال في الصلاة وترك الالتفات وترك الحركة فيها، ويجلب الخشوع والخضوع والطمأنينة في الصلاة.



(١) المرشد الأمين من إحياء علوم الدين ص٣٤، ٣٥.

من فوائد الصلاة

للصلاة فوائد كثيرة، وفضائل جليلة، نذكر منها ـ بإيجاز واختصار:

١ ـ النهي عن الفحشاء والمنكر:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال: «**إنه سينهاه ما تقول**»[(١)].

وقال أبو العالية: «إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخصال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله؛ فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله يأمره وينهاه»[(٢)].

وقال ابن عوف الأنصاري: «إذا كنت في صلاة، فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر»[(٣)].

٢ ـ البسطة في الرزق والزيادة في الفضل:

لقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

---

(١) مسند أحمد ٢/٤٤٧.
(٢) المصباح المنير في تفسير ابن كثير ص١٠٤٢.
(٣) السابق ص١٠٤٢.

ولقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

٣ ـ مغفرة الذنوب وتكفير السيئات:

لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة: ١٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوءهن وجاء بهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، وإن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**»[١].

ولقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[٢].

وحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله»[٣].

وقال ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»[٤].

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٠٩.
(٣) مختصر شعب الإيمان ص٥٥.
(٤) صحيح البخاري ١/ ١٣٤، وصحيح مسلم ١/ ٤٦٢.

وهذا يدعوك أخي الحبيب إلى المحافظة على الصلاة في أوقاتها بخشوع وخضوع لله رب العالمين، حتى يغفر الله لك ذنبك، ويمحو خطأك، ويرفع عنك وزرك، وما أحوجنا لهذا فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

٤ ـ الفوز بالجنة:

لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٧].

وفي الجنة نعيم مقيم ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقد وصف ابن القيم رحمه الله بعض نعيمها في نونيته المشهورة فقال:

يا خاطب الحور الحسان وطالباً ... لو صالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت ... بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جعلت ... السعي منك لها على الأجفان
ولو وصفت طريق مسكنها فإن ... رمت الوصال فلا تكن بالواني
أسرع وحث السير جهدك إنما ... مسراك هذا ساعة لزمان[1]

ثم قال:

هي جنة طابت وطاب نعيمها ... فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنزل ... عسكر الإيمان والقرآن

(١) شرح القصيدة النونية ٢/ ٣٠١.

فـالـدار دار سـلامـة وخـطـابـهـم فيها سلام واسم ذي الغفران[١]

نسأل الله أن يجعلنا وإياك والمسلمين من الذين يقال لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٠].

ولهذا وغيره الكثير كانت الصلاة على وقتها من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما قال سيدنا محمد ﷺ.

ثانياً: بر الوالدين:

من مبادئ الإسلام السامية «مبادلة الإحسان بالإحسان» قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠].

انطلاقاً من هذا المبدأ الكريم حثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الأولاد على الوفاء لوالديهم والاعتراف بفضلهم والبر بهم ورغبت في ذلك.

وبر الوالدين معناه التوسع في الإحسان إليهما وذلك بطاعتهما وإكرامهما والتواضع لهما والشفقة عليهما والتلطف بهما بأن يقول لهما قولاً حسناً وكلاماً طيباً مقروناً بالاحترام والتعظيم.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أتى رجل النبي ﷺ ومعه شيخ، فقال النبي ﷺ: «**من معك؟** فقال: أبي، قال: **لا تمش أمامه، ولا تقعد قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له**[٢]»[٣].

---

(١) شرح القصيدة النونية ٢/ ٣٠٥.

(٢) معنى لا تستسب له: لا تكن سبباً في سبه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٣٨/١١ رقم الحديث (٢٠١٣٤)، والبخاري في الأدب المفرد ص٤٤، والدارقطني في العلل ٨٦/٥، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص٣٩٥ من حديث أبي هريرة، وضَعَّف إسناده محقق الكتاب بشير محمد عيون، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٥ رقم (١٣٣٩٦) بعد ذكره للحديث: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وهو لين، وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثقه، ومحمد بن عروة بن البرند لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص٤٦ رقم (٣٢).

وقد قرن الله سبحانه برَّ الوالدين بعبادته لبيان حقهما على الولد إذ أنهما السبب الظاهر لوجوده في الحياة الدنيا قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

كما قرن سبحانه شكرهما بشكره فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تُقْبَل منها واحدة بغير قرينتها.

إحداها: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ﴾ [المائدة: ٩٢]. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فمن صلى ولم يزَّكِ لم يقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه(١)

والحق تبارك وتعالى أمر الأولاد بالبر بوالديهم، والرفق بهم، وخفض الجناح لهم، ولين القول والمؤانسة، والرحمة والملاطفة، والدعاء لهم والصدقة عنهم، وهذه آيات الإسراء تحدد النهج الذي يجب اتباعه في معاملة الوالدين ومعاشرتهما والتوصية بهما وخصوصاً حين يضعفان ويمرضان ويكبران ويحتاجان إلى العناية والخدمة.

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

---

(١) كتاب الكبائر ص١٤٣.

فلو تدبر الأولاد هذه الآيات المحكمات وفهموا معانيها وعلموا أنهم سيجزون في كبرهم بما جازوا به آباءهم وأمهاتهم لما عقوهم ونهروهم.

والحياة دين ووفاء فمن برَّ والديه برّه أبناؤه قال سيدنا رسول الله ﷺ: **«عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يرد عليّ الحوض»**[(١)].

واعلموا أيها الأبناء أن الله قد جعل لكل من الوالدين باباً من الجنة يتفتّح بالخير على الولد كلما خرج يسعى لهما، وتنزل عليه رحمة الله ما دام حريصاً على إرضائهما، فإن أغضب أحدهما غضب الله عليه وأغلق دونه باب الخير وإن كان الولد مظلوماً[(٢)].

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتبساً إلا فتح الله له بابين من الجنة وإن كان واحد فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه، قيل: وإن ظلماه، قال: وإن ظلماه»**[(٣)].



---

(١) القضاء يستعمل في اللغة على وجوه: فيكون بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر وألزم وأوجب، ويكون بمعنى الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] يعني: خلقهن، ويكون بمعنى الحكم كقوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي: احكم ما أنت تحكم، ويكون بمعنى الفراغ كقوله تعالى: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] أي: فرغ ويكون بمعنى الإرادة كقوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: أراد. انظر المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦.

(٢) الترغيب والترهيب للإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٣/ ١٣٧.

(٣) انظر: بر الوالدين للأستاذ عبد الرؤوف الحناوي ص٢٤.

برّ الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله

برّ الوالدين فرض عين على أولادهما، والجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ـ إلا إذا غزى العدو بلاد المسلمين واغتصب أرضهم فإنه يصبح فرض عين، وفي هذه الحالة لا يجب على الولد أن يستأذنهما.

وفرض العين مقدم على الكفاية، لذا قُدِّم برّ الوالدين على الجهاد، والأحاديث في ذلك كثيرة تذكر منها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحي والداك؟** قال: نعم، قال: **ففيهما فجاهد**»[(١)].

فمع عظم فضل الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة فقد قدم الرسول ﷺ برّ الوالدين وطاعتهما عليه حيث قال للرجل: «**ففيهما فجاهد**» أي: ابذل غاية جهدك في خدمتهما، واعمل أقصى ما تستطيع لإرضائهما.

وعنه رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال ـ أي: النبي ﷺ ـ: «**فهل من والديك أحد حيّ؟ قال**: ـ أي الرجل ـ: نعم، بل كلاهما قال: **أفتبتغي الأجر من الله؟** قال: نعم، قال: **فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»[(٢)].

---

(١) الأدب المفرد ص١٥.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٤) و(٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩)، والإمام أحمد (٦٥٤٤)، والنسائي (٣١٠٣).

ما أحسن قول النبي ﷺ: **«فأحسن صحبتهما»!** ففيه حث على برهما وطاعتهما والتلطف بهما وخفض الجناح لهما وهذا يعدل أجر المجاهد في سبيل الله.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: هاجر إلى رسول الله ﷺ رجل من اليمن، فقال له رسول الله ﷺ: **«هجرت الشرك ولكنه الجهاد، هل باليمن أبواك؟** قال: نعم، قال: **أذنا لك؟** قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: **ارجع إلى أبويك فإن فعلا وإلا فبرهما»**[(١)].

ومقتضى هذا الحديث أنه لا يجوز للأبناء أن يخرجوا للجهاد ولا للسفر ولا لغيرهما إلا بإذن الآباء والأمهات.

وهنا نوجه دعوة للشباب الذين غُرِّر بهم وخُشِيت عقولهم بآراء منحرفة، وأفكار غريبة، أن يقرءوا هذا الحديث ويعملوا به ويستأذنوا آباءهم وأمهاتهم قبل أن يخرجوا من بيوتهم لارتكاب أعمال التخريب والتفجير التي روّعت الآمنين وأفزعت المواطنين والمقيمين، وأزهقت أرواحاً، وأراقت دماء، وأهدرت أموالاً، وخربت دياراً.

فإن آباءهم سوف يبينون لهم الطريق ويهدونهم سواء السبيل، ويوضحون لهم الحق من الباطل، ويأخذون على أيديهم حماية لأنفسهم أولاً ثم لوطنهم ثانياً.

فأول ذنب ارتكبه هؤلاء هو عقوق الوالدين، والعاق في النار، فعن عليَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحزن والديه فقد عقهما»**[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بكاء الوالدين من العقوق»**[(٣)] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يُقرّ الخبث في أهله»**[(٤)].

وإذا كانت الجنة محرمة عليه فإن النار هي مصيره وبئس المصير.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٤٩).

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن، مجمع الزوائد ٨/١٣٧.

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن، مجمع الزوائد ٨/١٣٧.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد ص٣١.

برّ الوالدين مقدم على رضى الزوجة

حفظ الإسلام للزوجة حقوقها وصان لها كرامتها وأوجب على الرجل الإنفاق عليها، وأمره بحسن معاشرتها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**»[(١)]»[(٢)].

ومع هذا فقد قُدِّم برّ الوالدين على رضى الزوجة لما لهما من فضل على الولد، قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كانت تحتي امرأة، كنت أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها، فأبيت، فأتى عمرُ النبي ﷺ فذكر ذلك له،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥٣٧٢) و(٦١١٣) وقال محقق الموسوعة الحديثية ٢٦٩/١٠ رقم (٦١١٣): حديث صحيح، وهذا سند ضعيف لجهالة راويه عن سالم.اهـ. والبزار (١٨٧٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ١/ ٥٨٥ رقم (٣٠٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٠) رقم (١٣٤٣١): رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٤٦١٩) وصححه محقق الموسوعة الحديثية ٤٠/ ١٤٤ حيث قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه أبو داود (٢٥٧٨)، والبيهقي في السنن ١٨/١٠، وابن حيان في صحيحه (٤٦٩١) وصححه محقق الكتاب: شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ، وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣٢٥١).

فقال النبي ﷺ: «**طَلِّقْهَا**»[١].

ففي ذلك تقديم لبرّ الوالدين على الزوجة في أمر خطير ألا وهو طلاقها، وإنهاء حياتها معه، وإخراجها من عصمته، مع أنه يحبها ويريدها، وعلى العكس من ذلك سأذكر لك أيها القارئ الكريم قصة عجيبة من عصرنا الحاضر تبكي العين، وتُدمي الفؤاد، وتحزن القلب لما فيها من تفضيل للزوجة على الأم.

وهذه القصة رواها الشيخ علي القرني عن أحد بائعي المجوهرات في محاضرة له بعنوان «كل يغدو».

يقول البائع للشيخ: «جاءني في أحد الأيام الأخيرة من شهر رمضان رجل وزوجته وأمه وابنه، وكانت الأم على حياء ومعها ابن هذا الرجل، فوقفت به في جانب المحل، وجاءت زوجته وأخذت من الذهب ما يعادل العشرين ألف ريال، ثم تقدمت الأم وأخذت خاتماً واحداً من الذهب قيمته مائة ريال وعندما جاء الابن ليدفع الحساب دفع العشرين ألف ريال، فقلت: بقي مائة ريال، فقال الابن: لأي شيء؟ فقلت: لهذا الخاتم الذي أخذته أمك، فقال الابن: العجائز ليس لهن ذهب، وأخذ الخاتم من يدها ورماه على الطاولة، فما كان من الأم إلا أن تجرعت غصصها وأخذت ابنه بين يديها وخرجت إلى السيارة، فأنبته زوجته قائلة: لماذا فعلت ذلك؟ ستخرج أمك من عندنا، من سيمسك ابننا بعد ذلك؟ فأخذ الخاتم وذهب به إلى أمه، فقالت الأم: والله لن ألبس ذهباً ما حييت أبداً، ما كنت أريد سوى هذا الخاتم لأفرح به يوم العيد مع الناس، فقتلت هذه الفرحة في نفسي فسامحك الله»[٢].

هذا الولد أبكى بفعلته هذه قلب أمه، ولو أدرك ما يحل به من الخسران والندامة في الدنيا والآخرة لأسعدها قبل أن يسعد زوجته ويرضيهما.

وقد ذكرتُ هذه القصة بعد قصة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليتبين لنا الفرق بين البر والعقوق، ولأخذ العبرة والعظة، فالسعيد من سعد بغيره والشقي من شقي بنفسه.

---

(١) ابن كثير ص٢٨٢.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، رياض الصالحين ص١٤٩.

برّ الوالدين بعد موتهما

من الوفاء أن لا ينسى الإنسان المعروف ولا يجحد الفضل، وفضل الآباء على الأبناء عظيم ولذلك لم تكتف آيات الإسراء بالأمر بالإحسان إلى الوالدين في الدنيا فحسب بل بعد موتهما أيضاً ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤][(١)].

وقد بينت السنّة المطهرة الطرق التي يستطيع الإنسان أن يبرّ والديه بعد موتهما من خلالها، حدّث مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرّهما به؟ قال: «**نعم خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك بعد موتهما**»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «**رفع للميت بعد موته درجته فيقول: أي ربي أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدك استغفر لك**»[(٣)].

فاستغفر أيها القارئ لوالديك أو لمن مات منهما وردد قائلاً: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وأكثر من الدعاء لهما فلقد انقطع عملهما من الدنيا إلا من ثلاثة أنت واحد منها، قال سيدنا محمد رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا**

---

(١) انظر: كتاب بر الوالدين وتحريم عقوقهما للشيخ غالب بن سليمان الحربي ص٤٩، ٥٠.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٦١٥٦)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، والبخاري في الأدب المفرد ص٣٥) وضعفه الألباني.

(٣) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص٢٠، ٢١.

من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[(١)].

فلا تبخل أُخيّ على والديك بعد موتهما بالدعاء لهما والاستغفار، واستمطار الرحمة عليهما والرضوان، وتحرى أوقات الاستجابة والغفران.

ثم عليك أيضاً إنفاذ وصيتهما والصدقة عنهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قَال: «**نَعَمْ**»[(٢)].

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: «**قلت يا رسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: نعم، قلت: فأي صدقة أفضل؟ قال: سقي الماء**»[(٣)].

ولا يتوقف البر بهما عند الدعاء والاستغفار والصدقة بل يمتدّ أيضاً ليشمل أموراً أخرى كثيرة منها:

ـ **قضاء النذر عنهما** فلقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة استفتى النبي ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر، فقال: «**اقضه عنها**»[(٤)].

ومنها **قضاء الصوم عنهما،** فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صوم صام عنه وليه**»[(٥)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: «**نعم فدين الله أحق أن يقضى**»[(٦)].

---

(١) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص٢١.

(٢) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص٢١.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٢٨٢٦)، والنسائي (٣٦٦٤)، وأبو داود (١٦٨١)، وابن ماجه (٣٦٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٧)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٣٧) وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦١) و(٦٦٩٨) و(٦٩٥٩)، ومسلم (١٦٣٨)، والإمام أحمد في مسنده (١٨٩٣)، والنسائي (٣٦٥٧)، وأبو داود (٣٣٠٧)، والترمذي (١٥٤٦)، وابن ماجه (٢١٣٢).

(٥) رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧)، وأبو داود (٢٤٠٠).

(٦) أخرجه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨).

ومن ذلك أيضاً الحج عنهما فعن ابن عباس ﵄ أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفحج عنها؟ قال: «**حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا دين الله، فالله أحق بالوفاء**»(١)

ـ **ومن ذلك صلة أصدقائهما:** فعن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه**»(٢).

فمن قصر في بر والديه في حياتهما، وندم على ما فرط في حقهما وخاف عاقبة العقوق، فلا ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمته، وليعلم أن باب الإحسان إليهما مفتوح على مصراعيه، فليدخل منه داعياً ومستغفراً لهما، وصائماً عنهما وحاجاً لهما وواصلاً أهل ودّهما، وإنما يتقبل الله من المتقين.



(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢).
(٢) الأدب المفرد، باب (٢٠) ص٢١، ٢٢.

ثمرات بر الوالدين

لبرّ الوالدين ثمرات كثيرة منها:

* تفريج الكروب وذهاب الهموم والأحزان[(١)]:

قال رسول الله ﷺ: «**بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالديّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله فرجة فرأوا منها السماء؛ وقال الثاني: اللهم إنه كان لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمئة دينار، فسعيت حتى جمعت مئة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم، فقمت عنها. اللهم فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها، ففرج لهم فرجة. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل**

---

(١) بر الوالدين ص٣٠.

أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه فانطلق بها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج ما بقي ففرج الله عنهم»(١).

فبر الوالدين كما جاء على لسان الصادق المصدوق ـ في هذه القصة ـ المبلغ عن ربه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى: سيدنا محمد ﷺ سبب في حلول الفرج إذا بلغت الشدة غايتها، وسبب في تيسير العسر إذا استحكمت عقده.

* الزيادة في العمر والبركة فيه:

قال رسول الله ﷺ: **«من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره»**(٢).

وقال أيضاً: **«وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»**(٣).

فما أحلى الحياة إذا طال فيها العمر، وكثر فيها المال الحلال؛ وما أهنأ العيش إذا رافقته طمأنينة النفس وراحة الضمير ومحبة الناس.

ولك أُخيَّ أن تتأمل معي هذا الحديث الشريف الذي رواه أنس رضي الله عنه عن سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال: **«من سرّه أن يمد له في عمره، ويزاد له في رزقه فليبرّ والديه وليصل رحمه»**(٤).

* إجابة الدعوة:

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتي**

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٧.
(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ١٣٧.
(٣) الترغيب والترهيب ٣/ ١٣٧.
(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٣٨٤٧) قال محقق المسند: الموسوعة الحديثية ٢١/ ٣١٩ رقم الحديث (١٣٨١١): حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل ميمون بن سياه ومن دونه ثقات اهـ.

عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك الله فافعل»(١).

فلأويس بن عامر فضل كبير، ومنزلة عالية عند الله تعالى، حتى أنه لو أقسم على الله لأبر الله قسمه، وذلك لبرهّ بأمه وإكرامه لها.

* مغفرة الذنوب وقبول التوبة:

روي عن يحيى بن أبي بكر، قال: لما قدم أبو موسى الأشعري وأبو عامر على رسول الله ﷺ وأسلما، قال: «**ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟** قالوا: تركناها في أهلها، قال: **فإنه قد غُفِر لها**، قالوا: بما يا رسول الله؟ قال: **كانت لها أم عجوز كبيرة، فجاءها النذير، إن العدو يريد أن يغير عليكم، فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعيت وضعتها ثم ألزقت بطنها ببطن أمها، وجعلت رجليها تحت رجلي أمها من الرمضاء حتى نجت**»(٢).

* قبول الأعمال ودخول الجنة:

في سورة الأحقاف آيات تحدثت عن صنف من الناس عرف حق الله تعالى عليه فشكره، وعرفَ حقَّ والديه فأحسن إليهما وأطاع أمرهما، واجتهد في برهما، وعرف حق ذريته فأحسن تربيتها ودعا لها بالإصلاح والتوفيق، وسأل الله تعالى التوبة والمغفرة، فتقبل الله عمله، وغفر له ذنبه، ووعده بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في شعب الإيمان. انظر: كتاب بر الوالدين ص٨٢.

وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ [الأحقاف: ١٥، ١٦].

وهكذا فليكن الأبناء: حبٌّ للآباء، وبرٌّ بهم، واعتراف بفضلهم، وطاعة لهم، وتقديمهم على النفس والأهل والولد، خفض الجناح لهم، ولين الكلام معهم، ثم الدعاء والاستغفار لهم بعد وفاتهم.

وأختم هذا الموضع بأبيات تبين حقوق الأم وفضلها، يقول الشاعر:

لأمك حق لو علمت كبير ... كثيرك يا هذا لديه يسيرُ
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنّة وزفيرُ
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير
فكم غسلت عنك اللأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حنواً وإشفاقاً وأنت صغير
فآه لذي عقل ويتبع الهوى ... وآه لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير(١)



(١) حقوق الآباء على الأبناء، طه عبد الله العفيفي ص٢٩ ـ ٣٠.

ثالثاً: الجهاد في سبيل الله

عمّت الدعوة الإسلامية أرجاء المعمورة بسبب الجهاد الذي بذله المسلمون لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

ولولا الجهاد لانحصر الإسلام في تلك البقعة الصغيرة التي انطلق منها، ولاندثرت معالم هذا الدين في فترة وجيزة من الزمن.

والجهاد هو بذل الجهد والطاقة والنفس والمال في محاربة العدو، فمادة الكلمة (ج هـ د) تدل في اللغة على: الطاقة والمشقة والوسع والقتال(١).

وهو من أحب الأعمال إلى الله، وأفضل القربات إليه سبحانه، وهو ماض إلى يوم القيامة؛ نصرة لدين الله، وحماية لحوزته، وذوداً عن حياضه، وحفاظاً على عزة أمته، ودحضاً للباطل وأهله، ولذلك رفع الله شأن الجهاد في الإسلام ووعد أهله المنازل العالية والأجر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

قال القرطبي رحمه الله: «... أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلافهم أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه عوضاً عنها الجنة إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه

(١) انظر: المفردات للراغب ص٩٩، وبدائع الصنائع للكاساني ١٩/٤٢٩.

عوض ولا يقاس به..»[١]

والجهاد تجارة رابحة مع الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

فرأس مال هذه التجارة هو الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس. وربحها مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، وبشارة بالنصر على الأعداء.

وهو أفضل عند الله من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج فيه، قال تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه لا يستوى عنده عُمَّار المسجد الحرام، وهم عماره بالاعتكاف والطواف والصلاة، هذه هي عمارة مساجده المذكورة في القرآن، وأهل سقاية الحاج، لا يستوون هم وأهل الجهاد في سبيل الله، وأخبر أن المؤمنين المجاهدين أعظم درجة عنده، وأنهم هم الفائزون، وأنهم أهل البشارة بالرحمة والرضوان والجنات، فنفي التسوية بين المجاهدين وعمار المسجد الحرام مع أنواع العبادة، مع ثنائه على عماره بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨][٢].

---

(١) أحكام القرآن ٨/ ٢٦٧.

(٢) انظر: منهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري ص٣٥٠.

فهؤلاء هم عمار المساجد، ومع هذا فأهل الجهاد أرفع درجة عند الله منهم»[١].

والشهداء عند الله أحياء غير أموات، فرحين بما آتاهم ربهم من العطايا والهبات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

كما رويت عن الرسول الكريم ﷺ أحاديث كثيرة تبين فضل الجهاد ومنزلة الشهداء عند الله وما أعدَّ لهم من نعيم مقيم، وخيركثير، ودرجات عالية ومنازل رفيعة، نذكر منها:

عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة**»[٢].

ففي الحديث بيان درجات المجاهدين التي لا ينالها غيرهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو ادخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل**

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص٦٢٣، طبع الشؤون الدينية في قطر.

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٧٩٠)، وفتح الباري ٦/١١.

في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»[(١)].

فالمجاهد رابح على كل حال، انتصر على عدوه فعاد إلى بيته غانماً مأجوراً، أو استشهد فإنه يدخل الجنة، ولا يتمنى أحد غير الشهيد أن يحييه الله ويخرجه من الجنة ليعود إلى الدنيا ليقاتل في سبيل الله مراراً، لما رأى من الخير العظيم المترتب على الشهادة في سبيل الله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»**[(٢)].

بل إن رسول الله ﷺ صاحب المقام المحمود، والحوض المورد، والفردوس الأعلى، يتمنى أن يقتل ثم يحيا ثم يقتل في سبيل الله حباً في كرامة الشهداء عند الله.

وعن نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الشهداء أفضل؟ قال: **«الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلى في الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه»**[(٣)].



(١) صحيح البخاري رقم (٣٦)، وفتح الباري ١/ ٩٢.
(٢) صحيح البخاري رقم (٢٨١٧)، وفتح الباري ٦/ ٣٢.
(٣) مسند أحمد ٥/ ٢٨٧.

حكم الجهاد

الجهاد إما فرض كفاية وإما فرض عين:

أ ـ فرض كفاية: إذا قام به البعض سقط عن الباقين وإلَّا أثم الجميع بتركه، قال السرخسي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«... ونوع هو فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول المقصود، وهو كسر شوكة المشركين وإعزاز الدين»(١).

قال مصطفى السيوطي: «... وشرعاً: قتال الكفار، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط وجوبه عن غيرهم، وإلا أثم الناس كلهم»(٢).

ب ـ فرض عين: على جميع المسلمين وذلك إذا غزا العدو بلاد المسلمين واعتدى على حرماتهم ومقدساتهم ـ كما هو الحال الآن ـ فيجب على كل مسلم أن يهبّ للدفاع عن أرضه ومقدساته بدمه وماله فمن لم يستطع الجهاد بنفسه فعليه التبرع بماله تدعيماً للمحاربين، ومن لم يقدم كل ما يستطيع تقديمه للجهاد والمجاهدين يكون آثماً لتخلفه عن واجب الجهاد، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

---

(١) المبسوط ١٠/ ٣٠.

(٢) مطالب أولي النهى ٢/ ٤٩٧.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق**»[٢].

فالجهاد واجب يا عباد الله على جميع المسلمين اليوم لكن ذلك بشروط. قال الشيخ **محمد بن عثيمين** رحمه الله: «لا بد فيه ـ أي في الجهاد ـ من شرط وهو أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فإن لم يكن لديهم قدرة فإن إقحام أنفسهم في القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة، ولهذا لم يجب الله تعالى على المسلمين القتال وهم في مكة؛ لأنهم عاجزون ضعفاء فلما هاجروا إلى المدينة وكونوا الدولة الإسلامية وصار لهم الشوكة أمروا بالقتال، وعلى هذا فلا بد من هذا الشرط...»[٣].

وقال الشيخ **صالح الفوزان** ـ حفظه الله ـ: «... أما أهل السنّة فيقولون: لا بد من راية ولا بد من إمام هذا منهج المسلمين من عهد رسول الله ﷺ، فالذي يفتي بأنه لا إمام ولا راية، وكل يتبع هواه، هذا رأي الخوارج»[٤].

وهذه الشروط لا تكون إلا في جهاد الطلب والغزو. قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في هذا: «... أما قتال الطلب والغزو فهذا لا يكون إلا إذا توفرت مقوماته...»[٥].

أما جهاد الدفاع فلا يشترط فيه شروط، بل يخرج الولد من غير إذن والديه، والمرأة من غير إذن زوجها، كما هو الحال في بعض ديار المسلمين،

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٥٠٤)، والدارمي (٢٤٣١) أحمد (١٢٢٦٨).
(٢) صحيح مسلم ٣/١٥٧.
(٣) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع الأستاذ محمد بن فهد الحصين ص١٠٦.
(٤) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص١٠٩.
(٥) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص١١١.

فإن أهل هذه البلاد يهبون للدفاع عن بلادهم وأرواحهم وأعراضهم بدون إذن وبدون أمير وبدون راية، وإن وجدت الراية والأمير فذلك أحسن وأولى لدحر العدو عن ديار المسلمين.

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . إذا حصر العدو بلدة صار الجهاد واجباً؛ لأنه جهاد دفاع؛ لأن العدو إذا حصر البلد معناه أن أهلها يكونون عرضة للهلاك. . . فيجب الدفاع ما دام عندهم ما يمكن أن يدافعوا به يجب أن يدافعوا»(١).

ويجب على البلاد المجاورة لهم نصرتهم ومساعدتهم بكل ما يملكون تحقيقاً للأخوة الإسلامية ومبدأ التناصر ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فتناصروا أيها المؤمنون واتحدوا: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤].



(١) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص١٠٤.

كلمة حق عند سلطان جائر

يقوم النبي ﷺ: «**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر**»(١).

عُنيت الشريعة الإسلامية بولاة الأمر عناية فائقة، وأكدت على حقوقهم تأكيداً عظيماً، وجعلت طاعتهم أمراً واجباً على الرعية في حدود ما شرع الله.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] و«أولو الأمر» كما قال المفسرون هم الحكام والعلماء.

وروى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله ما لم نر كفراً بواحاً لنا فيه من الله برهان»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٣).

فللحاكم على الرعية حق السمع والطاعة؛ لأنه يحمل همهم، ويقودهم إلى الحق، ويحفظ حقوقهم، ويدافع عن حرماتهم.

وله ـ أيضاً ـ عليهم حق النصح والتذكير؛ لأن الحاكم غير معصوم من الخطأ والزلل. وهذا واجب العلماء الربانيين دون شقٍ لعصا الطاعة، أو إثارة لفتنة، أو دعوة إلى طائفية أو حزبية لغير الحق.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢١٢) وحسنه الألباني.
(٢) متفق عليه انظر: فتح الباري ١٣/٥، ٦، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٢/٢٢٨.
(٣) رواه البخاري رقم (٧١٤٤).

وقد كان مشاهير علماء السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يقومون بالنصيحة لأئمة المسلمين وحكامهم؛ لأن هداية الحاكم من أعظم الخير، وأجلّ ثمرات الجهاد؛ إذ بصلاحه صلاح البلاد وأحوال العباد.

يقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «حق على كل مسلم جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه، أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه»[١].

ومن أمثلة ذلك:

دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس على سريرة ـ وحوله الأشراف من كل بطن ـ وذلك في مكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به، قام وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له:

«يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهدهما بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم.

فقال له: أجل أفعل. ثم نهض، فقبض عليه عبد الملك، فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم انصرف.

فقال عبد الملك: هذا ـ وأبيك ـ الشرف»[٢].

● **وبعث الحجاج إلى الحسن البصري، فلما دخل عليه قال: «أنت الذي تقول: قاتلهم الله، قتلوا عباد الله على الدينار والدراهم؟ قال: نعم.**

قال: ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق: ليبيننه للناس ولا يكتمونه. قال: يا حسن أمسك عليك لسانك، وإياك أن

---

(١) المهذب من إحياء علوم الدين ١/ ٤٨١.

(٢) نفسه ١/ ٤٨٢.

يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك»[١].

وهكذا، فجهر العلماء بالحق أمام الحكام ومناصحتهم سراً وتضحيتهم في سبيل ذلك بأرواحهم، وعدم خشيتهم في الله لومة لائم، من أحب الجهاد إلى الله تعالى كما قال النبي ﷺ والحاكم الصالح لا بد أن يستجيب لهؤلاء ما دامت نصيحتهم خالصة وحسب الضوابط الشرعية، وليس وراءها مطامع شخصية، وهذا دأب العلماء والحكام قديماً وحديثاً، ولقد كان لشيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله منهجاً متميزاً في مناصحة الحكام وملاطفتهم ودلالتهم على الخير، ولذا تحقق على يده خير عظيم للبلاد والعباد داخل بلادنا وخارجها فرحمه الله رحمة واسعة[٢].



(١) نفسه ١/ ٤٨٣.
(٢) عقدت مبحثاً خاصاً لهذا الأمر في ترجمة الشيخ ضمن كتاب لقاءاتي مع الشيخين (الطيار).

المداومة على الطاعات

من أحب الأعمال إلى الله المداومة على الطاعات، جاء في صحيح مسلم: حدثنا ابن مخير حدثنا أبي حدثنا سعد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ**» قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[(١)].

الإسلام دين الوسطية والاعتدال في الأقوال والأفعال، ولذلك ينبغي للمسلم أن يتوسط في العبادة، ولا يحمّل نفسه ما لا تطيق فإنه إذا أجهدها ملّت وكلت وانقطعت عن العبادة.

فقليل العبادة الدائم خير من كثيرها المنقطع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢] هذا مثل قرآني لمن نقض عهده بعد توكيده.

قال شيخنا محمد بن عثيمين ـ يرحمه الله ـ: «...العمل وإن قلّ إذا داومت عليه كان أحسن لك؛ لأنك تفعل العمل براحة وتتركه وأنت ترغب فيه، لا تتركه وأنت تمل منه»[(٢)].

وكانت صلاة النبي ﷺ وخطبته «قصداً» ـ أي: بين الطول والقصر ـ فعن أبي عبد الله جابر بن سمرة السوّائي قال: «**كنت أصلي مع النبي ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً**»[(٣)].

وقد أمرهم النبي ﷺ أن يحلوا حبل زينب من المسجد فعن أنس ﵁

---

(١) صحيح مسلم ١/٥٤١ رقم (٧٨٢).
(٢) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين ١/ ٥٦١.
(٣) صحيح مسلم رقم (٨٦٦).

قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين قال: «**ما هذا الحبل؟** قالوا هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ **حُلُّوهُ! ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»[١].

والعمل القليل المستمر أفضل من العمل الكثير الذي تمل به النفس وتسأم منه، ثم تتركه وتنقطع عنه، وقد بلغ النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لأصومنّ النهار، ولأقومنّ الليل ما عشت، فقال له النبي ﷺ: «**أنت الذي قلت ذلك؟** قال: نعم يا رسول الله، قال ـ أي النبي ﷺ ـ: **إنك لا تطيق ذلك، فصم وأفطر ثم نم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر**، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: **فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود** عليه السلام **وهو أعدل الصيام**، فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **ولا أفضل من ذلك**»[٢].

وكبر عبد الله بن عمرو، وصار يشق عليه أن يصوم يوماً ويترك يوماً، فقال: ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ، ثم صار يصوم خمسة عشر يوماً سرداً، ويفطر خمسة عشر يوماً سرداً[٣]

والاقتصاد في العبادة من سنن النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا، كأنهم تقالّوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما انا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛**

(١) صحيح البخاري رقم (٢١٢)، وصحيح مسلم رقم (٧٨٦).
(٢) صحيح البخاري رقم (١٩٧٦).
(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٥٦٢.

فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١].

وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من مطعم ومشرب وغيرهما، وهذا معنى ما أوصى به الرسول ﷺ حنظلة رضي الله عنه.

فعن أبي ربعيّ حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب، أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنها رأي عينٍ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا[٢] الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا؛ فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: **«وما ذاك؟»** قلت: يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً؛ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تداومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذِّكْرِ، لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعة» ثلاث مرات[٣].

فالحمد لله الذي أراد بنا اليسر ولم يرد بنا العسر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وصدق رسول الله القائل: **«إن الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة**[٤] **والروحة**[٥] **وشيء من الدلجة»**[٦].

---

(١) صحيح البخاري رقم (٥٠٦٣)، ومسلم رقم (١٤٠١).
(٢) عافسنا: لَاعَبْنا.
(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٥٠).
(٤) الغدوة: سير أول النهار.
(٥) الروحة: آخر النهار.
(٦) الدلجة: آخر الليل. رواه البخاري رقم (٦٤٦٣).

آثار المداومة على الأعمال الصالحة

للمداومة على الأعمال الصالحة آثار كثيرة منها:

* **دوام اتصال القلب بخالقه** وذلك يكسبه قوة ويقيناً وثباتاً وتعلقاً بالله سبحانه وتوكلاً عليه ومن ثم يكفيه الله همه قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

* **أنها سبب محبة الله تعالى للعبد وولاية العبد لله،** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[١].

* **أنها سبب في محو الذنوب والخطايا،** فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: لا، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»[٢].

فالمداومة على الصلوات الخمس في أوقاتها حيث ينادي بهن، وكثرة الخطا إلى المساجد يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب والآثام، ويرفع به

---

(١) انظر: فتح الباري ١١/ ٣٤٠.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٢٨)، ومسلم رقم (٦٦٧).

الدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟** قالوا بلى يا رسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[١].

* **أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لحسن الخاتمة**، حيث أن في المداومة جهاد للنفس ودفع للشيطان قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* **أن المداومة على العمل الصالح سبب لطهارة القلب من النفاق، ونجاة صاحبه من النار.**

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان؛ براءة من النار وبراءة من النفاق**»[٢].

* **أنها سبب لدخول الجنة**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: «ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم»[٣].

لهذا كان دوام العمل من أحب الأعمال إلى الله كما أخبر النبي محمد ﷺ.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٢).
(٢) أخرجه الترمذي ٢/ ٧.
(٣) متفق عليه. رواه البخاري رقم (٣٤٦٦) ومسلم (١٠٢٧).

ذكر الله ﷻ

من أحب الأعمال إلى الله «ذكر الله» لقول النبي ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله، أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله»**[١].

لذكر الله في الإسلام شأن عظيم، ومنزلة سامية، ومكانة عالية، وثواب جزيل، وأجر كبير.

وهو من أجل العبادات، ومن أعظم القربات، ومن أنفع الطاعات، ومن أحب الأعمال.

ولهذا جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مبينة لفضله، وموضحة لمكانته، وآمرة به، وحاثة عليه، ومرغبة فيه، ومحذرة من تركه والإعراض عنه.

قال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه» وقال قتادة: «ذكر الله أكبر من كل شيء».

وقيل: ذكر الله أكبر من سائر أركان الصلاة، وقيل: أكبر من كل العبادات، وقال ابن عطية رحمه الله: «وعندي أن المعنى: ولذكر الله أكبر على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر...»[٢].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني، ورواه ابن حيان رقم (٢٣١٨) باب فضل الذكر والذاكرين.

(٢) انظر هذه الأقوال في: البحر المحيط لأبي حيان ٨/٣٥٩.

قال شيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله: «فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب»[١].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي تطيب وتركن إلى جانب الله، تسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً، ولهذا قال ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: هو حقيق بذلك»[٢].

فما أحوجنا إلى ذكر الله في زمن طغت فيه المادة، وكثرت فيه أمراض القلوب، واضطرابات النفوس وسيطر القلق والخوف والفزع والظنون والهواجس عليها.

وقد شبه النبي ﷺ الذاكر لله بالحي، والمعرض عنه بالميت ـ ولا يستوى الأحياء والأموات ـ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت»**[٣].

وسيدنا رسول الله ﷺ كان ملازماً لذكر الله، يذكر الله في كل أحواله، في الصباح والمساء وفي الليل والنهار وفي اليقظة وعند المنام. تقول أم

(١) شرح رياض الصالحين ٣/ ٥٤٤.
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٦٨٨.
(٣) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧).

المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله يذكر الله في كل أحيانه»(١).

ويوصي النبي ﷺ بملازمة الذكر واستمراره فعن عبد الله بن بشر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به! قال: **«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»**(٢).

ويُنَبّئ ﷺ أصحابه بخير الأعمال وأفضلها فيقول: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم؟** قالوا: بلى، قال: **ذكر الله تعالى»**(٣).

وَلِذِكْرِ الله صيغ كثيرة أفضلها قراءة القرآن، وقول «لا إله إلا الله» وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، والاستغفار وغير ذلك.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أفضل الذكر لا إله إلا الله»**(٤). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»**(٥).

التحذير من ترك الذكر:

ترك ذكر الله تعالى والإعراض عنه خطر عظيم إذ أنه يورث قسوة القلب، وضيق الصدر، وتسلط الشياطين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، والعشا: في العين ضعف بصرها، والمراد ههنا عشا البصيرة، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

(١) رواه مسلم رقم (٣٧٣).
(٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٢).
(٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٤).
(٤) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٠).
(٥) رواه مسلم رقم (٢٧٣١).

ٱلْهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥] وكقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. وكقوله ﷻ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥] ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ [الزخرف: ٣٧، ٣٨]؛ أي: هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم...»[1].

والمعرض عن ذكر الله يعيش في الدنيا عيشة ضنكاً وإن كان في الظاهر متنعماً، ويعذب في الآخرة العذاب الشديد؛ لأنه نسي الله فأنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

والضنك: الضيق والشدة والبلاء، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة...»[2].

وقال النبي ﷺ: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة»**[3].

فانتبه أخي الحبيب ولا تكن من الغافلين، وأكثر من ذكر الله تكن من الفائزين.

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص١٢٤٧.
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٨٥٦.
(٣) مسند الإمام أحمد ٢/٣٨٩، ٤٩٤.

فوائد ذكر الله تعالى:

لذكر الله تعالى فوائد كثيرة جداً نذكر منها[١]:

أنه يطرد الشيطان ويقمعه:

قال ابن عباس رضي الله عنه: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى انخنس»[٢].

أنه من أحب الأشياء إلى الرحمن سبحانه:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٣].

وقال النبي ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**»[٤].

أنه يجلو صدأ القلب:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلب ذكر الله عز وجل»[٥].

وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل**»[٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار»[٧].

---

(١) انظر في هذا كتاب: الصيب الوابل ورافع الكلم الطيب لابن القيم ص٨٤.
(٢) أخرجه الطبري ٣٠/٢٨.
(٣) صحيح البخاري رقم (٦٦٨٢)، وصحيح مسلم رقم (٢٦٩٤).
(٤) رواه مسلم (٢١٣٧).
(٥) انظر الوابل الصيب لابن القيم ص٨١.
(٦) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٩٥.
(٧) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ص٨٦.

أنه يمحو الخطايا ويذهب السيئات:

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمّد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[١].

أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة

وحفوف الملائكة بالذاكر ففي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٢].

أنه يهون الصعاب ويخفف المشاق وييسر العسير:

قال ابن القيم رحمه الله: «... فما ذكر الله ﷻ على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهمّ»[٣]

□ **أن الله** ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: «ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم. قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ به علينا.

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٩٧).
(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٠٠).
(٣) الوابل الصيب ص١٥٥.

قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك. قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني: أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة»(١)

أن كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق:

قال كعب ﷺ: «من أكثر من ذكر الله ﷻ بريء من النفاق»(٢).

أنه ينجي من عذاب الله:

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما عمل آدمي عملاً قط أَنْجَى له من عذاب الله من ذكر الله ﷻ»**(٣).

ومن نجى من عذاب الله دخل الجنة: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وإذا لم يكن لذكر الله إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها، فأكثر أخي الحبيب من ذكر الله ﷻ حتى تلقى الله ولسانك رطب من ذكره سبحانه فتفوز بالجنة وتنعم بها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

لهذا كان الإكثار من ذكر الله والمداومة عليه من أحب الأعمال إلى الله ﷻ كما أخبر بذلك الحبيب المحبوب الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ.



(١) رواه مسلم رقم (٢٠٧١).
(٢) الوابل الصيب ص١٦٤.
(٣) مسند الإمام أحمد ٥/٢٣٩.

المساجد

أحب البقاع إلى الله المساجد، لقوله ﷺ: **«أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»**(١).

أوردنا هذا الحديث هنا مع أنه من أحب البلاد وليس من أحب الأعمال؛ لأن من أهم وظائف المسجد ذكر الله وإقامة الصلاة فيه لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

وهذه الأشياء من أحب الأعمال إلى الله.

وللمسجد في الإسلام مكانة عظيمة لكونه مكاناً للعبادة، ولإضافته إلى الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

لذا حث الإسلام على عمارة المساجد، والعناية بها، ورغب في بنائها، قال النبي ﷺ: **«من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»**(٢).

وبيَّن الله صفات عمار المساجد فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨] وعمارة المساجد تكون بالمحافظة على الصلاة فيها مع الجماعة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ولذلك أجر عظيم فقد سماه الرسول الكريم ﷺ الرباط.

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٧١).

(٢) جامع الأصول ١١/١٨٦.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**(١).

وتكون أيضاً بتلاوة القرآن الكريم والتهليل والتسبيح والتعليم والتناصح في الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

فوظيفة المسجد الحقيقية هي بناء شخصية المسلم المتكاملة في خلقه وسلوكه، وعمله وعبادته، وفي علاقته بربه وبنفسه وبأخيه المسلم وبالناس أجمعين، ولذلك كانت من أحب البقاع إلى الله.

وللمسجد آداب ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم منها:

* **الذهاب إليه في سكينة ووقار**(٢): ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»**.

* **تجنب الروائح الكريهة عموماً، وخصوصاً رائحة البصل والثوم والكراث والدخان:** فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا»**.

وفي رواية لمسلم: **«من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»**(٣).

* **المحافظة على نظافتها:** فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها»**(٤).

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥١).

(٢) السكينة: هي الطمأنينة والتأني، والوقار: الرزانة والحلم، وغض البصر وخفض الصوت.

(٣) رواه البخاري رقم (٨٥٤)، ومسلم رقم (٥٦٤).

(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥).

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله تعالى، وقراءة القرآن**»[(١)].

* **تجنب الجدال والخصومة ورفع الصوت فيها ونشد الضالة والبيع والشراء ونحو ذلك:** فعن السائب بن زيد الصحابي رضي الله عنه قال: «كنت في المسجد فحصبني رجل، فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فأتني بهذين فجئت بهما، فقال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالته فقولوا: لا ردّها الله عليك**»[(٣)].

* **إغلاق الجوال أو وضعه على الصامت** حتى لا تؤذي المصلين وتؤثر على خشوعهم بصوته.

فالتزم أخي الكريم بهذه الآداب، وكن ممن تعلقت قلوبهم بالمساجد تكن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.



(١) رواه مسلم رقم (٤١٥).
(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٠).
(٣) رواه الترمذي رقم (١٣٢١)، وقال: حديث حسن.

فائدة

الأسواق من أبغض البقاع إلى الله بسبب ما يقع فيها من المنكرات مثل: الكذب في المرابحة، وإخفاء عيوب البيع، والأيمان الفاجرة، ونقصان الكيل والوزن أو التطفيف فيهما، وبيع أدوات اللهو، والصور المجسمة المحرمة شرعاً.

واختلاط النساء بالرجال مع تبرج وسفور كثير من النساء المترددات على الأسواق.

ومع ما في الأسواق من المنكرات لا غنى لكثير من الناس عنها، وأذكر إخواني وأخواتي الذاهبين إلى السوق والذاهبات أن يقولوا عند دخولها: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»

ففي الترمذي: «من دخل السوق فقال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»** كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»[١].

فيخرج من السوق رابحاً رغم ما فيه من منكرات، اللهم وفقنا لفعل الطاعات وترك المنكرات، واجتناب السيئات إنك على كل شيء قدير.



(١) رواه الترمذي (٣٣٨٦).

صلاة وصيام «داود» عليه السلام

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: صلاة داود وصيامه فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً**»[(١)]. متفق عليه.

يشتمل هذا الحديث الشريف على عملين من أحب الأعمال إلى الله تعالى هما: أحب صلاة التطوع والمراد بها هنا «قيام الليل» وأحب صيام التطوع وهو «صيام يوم وفطر يوم».

أولاً: قيام الليل:

قيام الليل من أحب الأعمال إلى الله ومن أفضل القربات إليه سبحانه، ويكون بالأسحار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، والنفس فيها أصفى، والروح أجمع، والعبادة أخلص؛ ولذلك جاء الترغيب فيه والحث عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فأما **القرآن الكريم** فمنه:

١ ـ قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

قال أبو عبيدة رحمه الله: «أي ترتفع عنها ـ أي عن المضاجع ـ وتتنحى؛ لأنهم يصلون بالليل»[(٢)].

---

(١) البخاري رقم (١٣٣١)، ومسلم (١١٥٩)، (١٨٩).

(٢) مجاز القرآن ١/١٩٥.

وقال القرطبي رحمه الله: «المضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم....»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة»[(٢)].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «هجع: الهجوع: النوم ليلاً، قال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾، وذلك يصح أن يكون معناه كان هجوعهم قليلاً من أوقات الليل»[(٣)].

وقال سيد قطب رحمه الله في تفسيره: «... فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام.. المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام، ولا يطعمون الكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً، يأنسون لربهم في جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام، فهي حال يتطلع إليها رجال من التابعين ذوي المكانة في الإيمان واليقين، ويجدون أنفسهم دونها... اختص بها الناس ممن اختارهم الله، ووفقهم إلى القيام بحقها، وكتبهم بها عنده من المحسنين...»[(٤)].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ١ ـ ٨].

---

(١) تفسير القرطبي ٢١/٩٩.
(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٢٧٨.
(٣) المفردات ص٥٣٧.
(٤) الظلال ٣/١٢، ١٣.

وقال سيد قطب رحمه الله في تفسيره: «إن الله تبارك وتعالى حينما انتدب محمداً ﷺ للدور الكبير الشاق قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ الآيات. فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن، إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان.

ومن ثَمَّ يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة»[(١)].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ [الإنسان: ٢٦].

قال الطبري رحمه الله: «﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني: الصلاة والتسبيح»[(٢)].

أما **السنّة المطهرة** فمنها:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يحدث نفسه بقيام ساعة من الليل فينام عنها، إلا كان نومه صدقة تصدق الله بها عليه، وكتب له أجر ما نوى به**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[(٤)].

وحديث: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود...**».

وكان داود عليه السلام يقسم الليل ثلاثة أقسام:

النصف الأول للنوم، ثم الثلث للقيام، ثم السدس للنوم، وهذا فيه راحة للبدن، وتجديد للطاقة، واستمرار للعبادة.

---

(١) ظلال القرآن ٤/ ١٧٧.
(٢) الطبري ٢٩/ ٢٢٥.
(٣) انظر الترغيب والترهيب ١/ ٢٤٦.
(٤) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٩.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: «... فإن الإنسان إذا نام نصف الليل أخذ حظاً كبيراً من النوم، فإذا قام الثلث ثم نام السدس فإن التعب الذي حصل له في القيام يذهب بالنوم الذي في آخر الليل»[(١)].

ولهذا كانت صلاة داود أحب الأعمال إلى الله تعالى كما ذكره النبي ﷺ. ولكن إذا قام الإنسان في أي ساعة من الليل يرجى أن ينال الأجر والثواب ـ إن شاء الله تعالى ـ فالأمر في هذا ـ ولله الحمد ـ واسع كما قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ.

ويحسن أن نشير هنا إلى أهم آداب قيام الليل وسننه وهي:

ـ أن ينوي المسلم قيام الليل عند نومه.

ـ أن يستاك إذا استيقظ للقيام.

ـ أن يقول: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور».

ـ أن يمسح النوم عن وجهه بيده، ويرفع بصره إلى السماء ويقرأ الآيات: من آخر سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وما بعدها.

ـ أن يفتتح تهجده بركعتين خفيفتين، وأن يسلم من كل ركعتين.

ـ أن يطيل القيام والركوع والسجود[(٢)].

ثانياً: صيام يوم وفطر يوم:

للصوم أسرار عظيمة، ومنافع كثيرة فهو يهذب النفوس، ويسمو بالأرواح، ويربي في المسلم ملكة الصبر وقهر النفس الأمارة بالسوء، وينمي عنده فضيلة الأمانة، والإخلاص لله في العبادة والعمل.

كما أنه يبعث على تقوى القلوب وخشيتها لله وحده، ويقضي على ما تحمل النفوس من الضغائن والأحقاد والإحن. وبه تغفر الذنوب، وتكفر السيئات، وتزاد الحسنات، وترفع الدرجات.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣/٣٤٦.

(٢) انظر في هذا المختصر: في فقه العبادات للدكتور خالد المشيقح ص١٠٠.

ومن المعلوم المعروف أن الصوم في رمضان فريضة وركن من أركان الإسلام، وفي غيره نافلة وتطوع، والمراد هنا النافلة، ومنها[١]:

١ ـ صيام ستة من شوال:

فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»**[٢].

٢ ـ صيام يوم عرفة لغير الحاج:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، قال: **«يكفر السنة الماضية والباقية»**[٣].

٣ ـ صيام يوم عاشوراء:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه»[٤].

٤ ـ صيام أيام البيض:

وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله»**[٥].

٥ ـ صيام يوم الاثنين والخميس:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»**[٦].

---

(١) انظر: الصيام للأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار ص١٥٥ ـ ١٥٦.
(٢) رواه مسلم رقم (١١٦٤).
(٣) رواه مسلم رقم (١١٦٢).
(٤) متفق عليه؛ البخاري رقم (٢٠٠٤)، ومسلم رقم (١١٣٠/١٢٨).
(٥) متفق عليه؛ البخاري رقم (١٩٧٩)، ومسلم رقم (١١٥٩).
(٦) رواه الترمذي رقم (٧٤٧).

٦ ـ الإكثار من الصيام في شهري شعبان والمحرم:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان(وفي رواية) كان يصوم شعبان إلا قليلاً»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**»[٢].

٧ ـ صيام عشر ذي الحجة:

فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر** قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله، قال: **ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[٣].

٨ ـ صيام الأعزب غير القادر على الزواج:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[٤].

٩ ـ صيام يوم وفطر يوم:

وهو أحب الصيام إلى الله كما قال سيدنا محمد ﷺ: «**أحب الصيام إلى الله تعالى؛ صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**».

وإنما كان ذلك أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السآمة والملل فإن الله لا يمل حتى تملوا.

---

(١) رواه البخاري رقم (١٩٦٩)، ومسلم رقم (١١٥٦).

(٢) رواه مسلم رقم (١١٦٣).

(٣) سنن أبي داود ٧/ ١٠٣.

(٤) سنن أبي داود رقم (٢٠٤٦)، وصحيح ابن حبان رقم (٤٠٢٦)، والسنن الكبرى رقم (٢٥٤٨).

فائدة

داود عليه السلام

نذكر هنا نبذة مختصرة عن داود عليه السلام صاحب أحب الصلاة وأحب الصيام إلى الله سبحانه.

كان داود عليه السلام راعياً للغنم، وفي عهده قامت حرب بين جالوت وجنوده، وطالوت ـ ملك بني إسرائيل ـ وجنوده وكان جالوت مشهوراً بالقوة والشدة والبأس، وقد تحدى أبطال جيش طالوت طالباً منهم النزال فلم يستطع أحد منهم إجابته خوفاً منه.

فتقدم داود وطلب من طالوت الإذن بمنازلته، وكان يومئذ شاباً صغيراً، فأذن له بعد تردد وخوف عليه، لصغره وقلة خبرته في الحرب، وقال له: لو قتلت جالوت فسوف تصير قائداً على الجيش، وتتزوج ابنتي.

وتقدم داود لمبارزة جالوت؛ وليس معه من أدوات الحرب سوى عصاة ومقلاع وبعض الأحجار؛ فاستخف به جالوت، ولكن داود سدد إليه حجراً من مقلاعه فشج رأسه ثم أتبعه بآخر حتى سقط جالوت صريعاً وانتصر بنو إسرائيل على عدوهم[١] ثم أصبح داود ملكاً على بني إسرائيل، وقد بعثه الله رسولاً فيهم، وأنزل عليه الزبور.

حكى القرآن الكريم هذه القصة في سورة البقرة في قوله ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ

(١) نسأل الله أن ينصر الفلسطينيين المجاهدين على اليهود المحتلين بالمقلاع والحجارة كما نصر بهما داود عليه السلام إنه على كل شيء قدير.

ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

وقد أنعم الله على داود عليه السلام بنعم كثيرة عظيمة، منها ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

أي: أن الله أعطى لداود الحكمة وهي النبوة، وأنزل عليه كتابه الزبور، وأنه سبحانه أمر الجبال والطيور أن تردد معه التسبيح إذا سبح، وأنه جعل الحديد له ليناً ليشكله كما يشاء ويعمل منه دروعاً واقية لجنوده وحماية لهم من سهام الأعداء(١).

وقد رزق الله داود ابنه سليمان عليه السلام، وكان عبداً صالحاً قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

فلما كبر صار يشركه معه في مجالس القضاء والحكم لتدريبه وتعليمه ـ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.



(١) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١١١١)، وقصص الأنبياء لمحمد إسماعيل إبراهيم ص١٠٦.

التسمية بعبد الله وعبد الرحمن

يقول النبي ﷺ: «**أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**»[(١)].

الأولاد فلذات الأكباد[(٢)]، ونور العيون، وثمرات القلوب، وريحانة البيوت، وزينة الحياة الدنيا. جاء في الأثر: «لكل شيء ثمرة وثمرة القلب الولد»

وقد عني الإسلام بالأولاد عناية فائقة، واهتم بهم اهتماماً كبيراً. فشرع لهم حقوقاً على الآباء بها تنتظم حياتهم، وتستقيم أمورهم؛ ليكونوا أعضاء صالحين مصلحين تسعد بهم أمتهم وتنتفع بهم دولتهم.

ومن هذه الحقوق «اختيار الاسم الحسن».

وقد صدر الأمر بذلك من نبينا محمد ﷺ وبين سببه وعلته فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم؛ فأحسنوا أسماءكم**»[(٣)].

وأحسن الأسماء وأحبها إلى الله «عبد الله» و«عبد الرحمن» لما فيهما من استشعار العبودية الخالصة لله وحده، والله خلق الخلق ليكونوا له عباداً قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]

وأصدق الأسماء «حارث» و«همّام» وأقبحها «حرب ومرّة».

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢١٣٢).

(٢) يقول الشاعر:

إنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

(٣) سنن أبي داود (٤٩٤٨).

فعن أبي وهب الجشمي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمّام وأقبحها: حرب ومُرَّةُ»**(١).

وروي أن النبي ﷺ قال لرجل وُلِد له ولدٌ **«سمّ ابنك عبد الرحمن»**(٢).

وقد حرم الإسلام بعض الأسماء ككل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله، مثل: عبد العزى، وعبد هبل، وعبد الكعبة، وعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد عليّ، وعبد الحسين، وعبد الحسن وغيرها لما فيها من صرف العبودية لغير الله، أو إشراك غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله.

وغيَّر النبي ﷺ بعض الأسماء التي تتنافى مع الحُسْنِ المطلوب في التسمية.

فقد روى ابن أبي شيبة حديث يزيد بن المقدام بن شُريح، عن المقدام بن شريح عن أبيه، عن جده هانئ بن يزيد، قال: وفَدَ على النبي ﷺ قوم، فسمعهم يسمون: عبد الحجر، فقال له رسول الله ﷺ: **«إنما أنت عبد الله»**(٣).

وعن هشام عن أبيه أن رجلاً كان اسمه الحُباب، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقال: **«الحُباب شيطان»**(٤).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ غيّر اسم «عاصية» وقال: **«أنت جميلة»**(٥).

وروى أبو داود في «سننه» عن أسامة بن أخدري أن رجلاً كان يقال له: أصْرَم، كان في النفر الذي أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما اسمك؟** قال: أصْرَم، قال: **بل أنت زُرْعَة»**(٦).

قال أبو داود: «وغيّر رسول الله ﷺ اسم العاص، وعزيز، وعُتْلة،

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٣٤٥.
(٢) صحيح البخاري (٦١٨٦).
(٣) الأدب المفرد للبخاري (٨١١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩٠١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٨٩٨).
(٥) صحيح مسلم رقم (٢١٣٩).
(٦) سنن أبي داود رقم (٤٩٥٤).

وشيطان، والحكم، وغراب، وشِهاب، وحُباب فسماه هاشماً.

وسمّى حرباً سلماً، وسمى المضطجع: المنْبَعِث، وأرضاً يقال لها عَفْرَة: خَضْرة، وشعب الضلالة سماه: شعب الهُدى وبنو الزِّنْية سماهم: بني الرَّشدَة. وسمى بني مُغْوِيَة: بني رَشْدَة.

وقال أبو داود: «تركت أسانيدها للاختصار»[١].

فاحرص أُخَيّ ـ وفقك الله تعالى ـ على اختيار الاسم الحسن لابنك، وكن أشد حرصاً على عبد الله وعبد الرحمن للولد.

فأما البنت فعليك بأسماء أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ ورضي الله عنهن أو أي اسم آخر يكون حسناً، ولا تلجأ إلى الأسماء غير الحسنة والتي تكون سبباً في إضحاك الناس عليه واستهتارهم به.



(١) سنن أبي داود ٥/ ١٥٢.

حسن الخلق

من أحب الأعمال إلى الله تعالى حسن الخلق، لقول النبي ﷺ: **«أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً»**[1].

حسن الخلق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، امتدح الله سبحانه بها نبينا محمد ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وحسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس.

ومن علاماته: الكرم، والسخاء، والحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللطافة، والمساعدة، وقلة الطمع، والنجدة والشهامة، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، والتودد، وحسن التدبير.

وأن يكون الإنسان صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الفضول، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً ولا حسوداً[2].

وقد جمع الله ذلك كله في قوله سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] فليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية، كما قال المفسرون.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: **«ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك»**[3].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٧).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٣/٥٨٨، ومدارج السالكين لابن القيم ٣/٣١٦، وكلمات من نور للشيخ ثاني المنصور ص١٣٥.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص٥٢١.

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث الناس على حسن الخلق والتحلي به وتبين لهم ثمرته في الدنيا والآخرة وأنه سبب في دخول الجنة، ومنها:

* قول النبي ﷺ: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**(١).

* وقوله ﷺ: **«أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن»**(٢).

* وقوله ﷺ: **«استقم وليحسن خلقك للناس»**(٣).

* وقوله ﷺ: **«أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً»**(٤).

* وقوله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»**(٥).

* وقوله ﷺ: **«أقربهم مني مجلساً يوم القيامة أحسنهم خلقاً»**(٦).

* وقوله ﷺ: **«إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة»**(٧).

* وقوله ﷺ: **«إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار»**(٨).

* وقوله ﷺ: **«إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من حسن الخلق»**(٩).

* وقوله ﷺ: **«إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون**

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٦).
(٢) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٣٣).
(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٦٢).
(٤) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٣٩).
(٥) صحيح الجامع رقم (١٢٤١).
(٦) صحيح الجامع رقم (١١٨٧).
(٧) صحيح الجامع رقم (١٥٧٤).
(٨) صحيح الجامع رقم (١٦١٧).
(٩) صحيح الجامع رقم (١٩٧٣).

المتفيهقون المتشدِّقون»[1].

* وفي سنن الترمذي، وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**».

* وقوله ﷺ: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده، ما تجمل الخلائق بمثلها**»[2].

* وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»[3].

فجعل ﷺ البيت العلوي جزاء لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة وإن كان معه حق. ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله.

فاحرص أخي الكريم على هذه الصفة (حسن الخلق) وتخلق بها تكن في أعلى الجنة مع الحبيب ﷺ، وتكن من أحب عباد الله إلى الله.

وإياك وسوء الخلق فإنه خلق مذموم، واعلم أن الأخلاق المذمومة هي الكبر، والفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والحسد، والبغي، والخيلاء، والظلم، والقسوة، والتجبر، وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بما لم يفعل.

وكذا الكذب والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ونحو ذلك.

نجانا الله وإياك والمسلمين والمسلمات من هذه الصفات القبيحة المهلكة في الدنيا والآخرة آمين.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٣١).
(٢) رواه أبو يعلى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٩٢٧).
(٣) سنن أبي داود رقم (٤٨٠٠)، والترغيب والترهيب ١/ ٢٣٠.

قراءة القرآن

من أحب الأعمال إلى الله قراءة القرآن؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل أو أي العمل أحب إلى الله، قال: «**الحال المرتحل الذي يفتح القرآن ويختمه، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله كلما حلَّ ارتحل**»[١].

القرآن في الأصل مصدر قرأ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أي: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به»[٢]

وسمي القرآن بهذا الاسم لكونه جامعاً لثمرة الكتب السماوية السابقة ولجمعه ثمرة جميع العلوم[٣]، وقد أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤] وقوله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وهو كلام الله المنزل على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد وصف النبي ﷺ القرآن بقوله: «... فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو فصل ليس بالهزل، من تركه تجبراً قصمه الله،

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٥٨، وسنن الدارمي ٢/ ٥٦٠.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٤.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٠٤.
(٤) البحر المحيط ١/ ٢٣ ـ ٢٤.

ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من علم علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن عصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم»(١).

وشاء الله أن يكون نزوله في أعظم الأزمان وأشرف الشهور: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

واقتضت حكمته أن يكون ذلك في أعظم ليله من رمضان، وهي ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞﴾ [القدر: ١ ـ ٣].

ووصف الله هذه الليلة بالمباركة فقال سبحانه بعد أن أقسم به ﴿حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞﴾ [الدخان: ١ ـ ٥].

وبيّن الله سبحانه عظيم شأن هذا القرآن وجلالة قدرته حتى إنه لو نزل على الجبال الشاهقة لتصدعت من خشية الله قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحشر: ٢١].

وجعله الله ميسراً للحفظ والفهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞﴾ [القمر: ١٧].

وفضّله الله على غيره من الكتب وجعله ناسخاً لها ومهيمناً عليها فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨] وقد تكفل الله سبحانه بحفظه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞﴾ [الحجر: ٩].

وجاءت أحاديث كثيرة تشحذ الهمم في تلاوة القرآن وتبين ثواب ذلك وجزاءه منها:

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٠).

* قول النبي ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول: الم: حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر وميم عشر، فتلك ثلاثون**»[١].

* وقوله ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[٢].

* وقوله ﷺ: «**يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**»[٣].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[٤].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ**».

* وخير أمة الإسلام وأفضلها من تعلم القرآن وعلّمه غيره، قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**»[٥].

* وقال ﷺ: «**من علّم آية من كتاب الله فله ثوابها ما تُليت**»[٦].

* ويوصي النبي ﷺ أمته بقراءة القرآن والمداومة عليها فيقول: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقَلها**»[٧].

أما الذي لا يقرأ القرآن وليس في جوفه منه شيء فلا بركة فيه ولا خير عنده إنما هو كالبيت الخرب.

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٠٤).
(٢) رواه مسلم رقم (٨٠٥).
(٣) رواه البخاري رقم (٤٩٣٧).
(٤) رواه أبو داود رقم (١٦٦٤).
(٥) رواه أحمد رقم (٤١٢) من مسند عثمان رضي الله عنه، وأبو داود رقم (١٤٥٢)، والترمذي رقم (٢٩٠٧).
(٦) السلسلة الصحيحة (١٣٣٥).
(٧) رواه البخاري رقم (٥٠٣٣).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»**(١).

فاحرص أُخَيَّ ـ أرشدني الله وإياك والمسلمين إلى الخير ـ على تعهد القرآن بالتلاوة وإياك إياك إياك أن تكون مع الذين هجروا القرآن وجعلوه وراء ظهورهم واستبدلوه بقراءة الصحف والمجلات وغيرها نسأل الله لنا ولهم الهداية.

واعلم أن السلف الصالح كانت لهم همم عالية في قراءة القرآن فمنهم من كان يختمه كل أسبوع، ومنهم من ختمه في خمس ليال، ومنهم من ختمه في يوم وليلة.

وقيل: ختم أبو حنيفة القرآن في ليلة، وختم الشافعي ستين مرة في شهر رمضان، وختمه قتادة مرة كل يوم في العشر الأواخر من رمضان(٢)

قال الإمام النووي رحمه الله: «ينبغي لحامل القرآن أن يحافظ على تلاوته ويكثر منه، ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة فيما يختمون في القرآن..»(٣).

فالزم نفسك بقراءة جزء ـ على الأقل ـ كل يوم حتى تختم في شهر، واعلم أن للتلاوة أداباً ينبغي مراعاتها ومنها:

* **الوضوء.**
* **استقبال القبلة.**
* **الترتيل والتدبر.**
* **البكاء والخشوع**، لقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩١٤).
(٢) انظر: صلاح الأمة في علو الهمة للدكتور سيد حسين العفاني ٣/ ٢٤.
(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١١.

وقوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]. وقوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

* **حضور القلب وترك حديث النفس**، فلقد كان بعض السلف ـ رضوان الله عليهم ـ إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية[١].



(١) صلاح الأمة في علو الهمة ٣/ ٢٩.

العمل الصالح
في العشر الأول من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[١].

الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة أيام مباركة فاضلة، فلقد أقسم الله سبحانه بها في كتابه فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١، ٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «. . .والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف»[٢].

وفيها يوم عرفة الذي قال فيه النبي ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة**»[٣].

وآخر هذه الأيام يوم النحر ويليه يوم القر وقد قال فيها النبي ﷺ: «**أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر**»[٤].

ويبين الحافظ ابن حجر ـ يرحمه الله ـ سبب تفضيل هذه الأيام وتمييزها فقال: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي: الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يأتي ذلك في غيره»[٥].

---

(١) رواه البخاري رقم (٩٦٩).
(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١٥٠٥).
(٣) رواه مسلم برقم (١٣٤٨).
(٤) رواه أبو داود ٥/ ١٧٤.
(٥) فتح الباري ٢/ ٤٦٠.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة»[١].

ووضّح ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «... فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، وفيها يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية. وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان الرسول ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر...»[٢].

أنواع العمل في هذه العشر:

١ ـ **الصيام**، فيسن للمسلم صيام تسع ذي الحجة، أو ما تيسر منها وبالأخص يوم عرفة لغير الحاج.

فعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده**»[٣]

وكان النبي ﷺ يصوم أيام التسع هذه، فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: «كان النبي ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر»[٤].

٢ ـ **التسبيح والتحميد والتكبير**، لقول النبي ﷺ: «**ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»[٥].

ويشرع في هذه الأيام التكبير المطلق وصفته: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد ـ في جميع الأوقات من ليل أو نهار إلى صلاة العيد.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/٢٨٧.
(٢) زاد المعاد ١/٥٧.
(٣) أخرجه مسلم رقم (١٦٦٢).
(٤) أخرجه النسائي ٤/٢٠٥.
(٥) رواه أحمد ٧/٢٢٤.

كما يشرع التكبير المقيد بعد الصلاة المفروضة ويبدأ لغير الحاج من فجر يوم عرفة، وللحاج من ظهر يوم النحر ويستمر إلى صلاة عصر آخر أيام التشريق.

٣ ـ **الحج والعمرة،** فالحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام وفرض على المستطيع، فيجب على من وجب عليه الحج أن يبادر إلى أدائه لقول النبي ﷺ: «**تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له**»[(١)].

الحج من أفضل الأعمال وأكثرها ثواباً وأعظمها أجراً لقول النبي ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[(٢)].

٤ ـ **الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق،** قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا**»[(٣)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحي»[(٤)].

٥ ـ **كثرة الأعمال الصالحة من صلاة وصدقة ودعاء واستغفار ومساعدة المحتاجين وغير ذلك،** فالأعمال الصالحة لا حد لها ولا عد.

لهذا كله وغيره الكثير كان العمل في هذه الأيام المباركة أحب إلى الله كما قال النبي الكريم ﷺ.



---

(١) رواه أحمد (٣١٤١١).
(٢) رواه البخاري (١٧٧٣).
(٣) رواه أحمد ٢/ ٣٢١.
(٤) رواه أحمد ١٣/ ٦٥.

نفع الناس وإدخال السرور عليهم

قال النبي ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً. ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل**»[1].

المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

والمسلمون جميعاً كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، كما أنهم يدٌ على من سواهم.

أمرهم الله سبحانه بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وذلك لينتشر بينهم الحب والإخاء والإخلاص والتعاون والوفاء والمودة والرحمة، ومما يعمل على ذلك ـ أيضاً ـ ما جاء في هذا الحديث: فنفع

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني في الكبير عن ابن عمر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٦).

الناس ـ وإدخال السرور على المسلم ـ وكشف كربه ـ وقضاء دينه ـ وطرد الجوع عنه ـ والمشي في حاجته ـ وكف الغضب ـ وكظم الغيظ ـ والابتعاد عن سوء الخلق.

أمور هامة في حياة المسلمين، ولها أثرها العجيب في نشر المحبة والمودة والإخاء والتعاون بين المسلمين، وقد أعد الله لمن يفعل ذلك أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وهذه بعض الأحاديث النبوية التي توضح ذلك:

* قال رسول الله ﷺ: **«أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً كساه الله تعالى من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم»**(١).

* وقال رسول الله ﷺ: **«من أنظر معسراً، أو وضع عنه، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»**(٢).

* وقال رسول الله ﷺ: **«أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»**(٣).

* وقال رسول الله ﷺ: **«الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»**(٤).

* وقال رسول الله ﷺ: **«خير الناس أنفعهم للناس»**(٥).

فليعمل كل منا ـ قدر طاقته ـ على مساعدة إخوانه المسلمين، وقضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، والدعاء لجميع المسلمين عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبح أعداء الإسلام نادمين.

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري.
(٢) رواه مسلم وأحمد...
(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٩٦).
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٨٩).

تكاثر الأيدي على الطعام

من أحب الأعمال إلى الله تعالى تكاثر الأيدي على الطعام لقول النبي ﷺ: «**أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي**»(١).

الكرم والجود والسخاء والإنفاق وإطعام الطعام، صفات كريمة حث عليها الإسلام ورغّب فيها، ومدح المتصفين بها، ووصفهم بالفلاح، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وجعل الله الأجر العظيم عليه في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا البدل والخلف، وفي الآخرة الجزاء والثواب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(٢).

وإطعام الطعام وكثرة الأيدي عليه من صنائع المعروف التي تقي صاحبها مصارع السوء والهلاك.

---

(١) رواه ابن حبان وحسنه الألباني.

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة، ورواه الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»(١).

كما أن إطعام الطعام من أسباب دخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام**»(٢).

وقال أيضاً: «**إن في الجنة غرفاً، يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام**»(٣).

فالله الله في إطعام الطعام، والله الله في كثرة الأيدي عليه، فرسولنا ﷺ كان أجود الناس، وكان يحب إطعام الطعام. فعن أنس رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس**»(٤).

وعن عبد الله بن بر قال: «**كان للنبي ﷺ قصعةٌ يقال لها الغرَّاء، يحملها أربعة رجال**»(٥).

وهذا يدل على ضخامة هذه القصعة وكبرها، وأن الغرض منها تكثير الأيدي على طعام رسول الله ﷺ فهو الجواد الكريم.

واعلم أخي المسلم أن الذين يطعمون الطعام هم خيارنا فعن حمزة بن صهيب، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه لصهيب: «فيك سرف في الطعام» فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خياركم من أطعم الطعام**»(٦).

أما الذين ليس لهم ضيوف يأكلون عندهم فلا خير فيهم قال رسول الله ﷺ: «**لا خير في مَنْ لا يضَيّف**»(٧).

---

(١) صحيح الجامع رقم (٣٦٨٩).
(٢) رواه الترمذي انظر: الترغيب والترهيب ١/ ٣٩٥.
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه.
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.
(٥) صحيح الجامع رقم (٤٨٣٣).
(٦) حسّنه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٣٩٦.
(٧) صحيح الجامع رقم (٧٤٩٢).

لهذا كان إطعام الطعام وكثرة الأيدي عليه من أحب الأعمال إلى الله.
هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الزلفي ٢٦ من رمضان ١٤٢٥هـ
ص.ب ١٨٨ الرمز ١١٩٣٢

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة